الدّكتور عبد السلام المسدّي

فتنة الكلمات

نشر وتوزيع

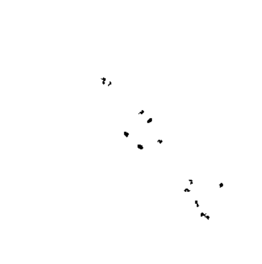
مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ـ تونس

عبد السّلام المسدّي

فتنة الكلمات



مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع - تونس



إِلَى اللّغَةِ الَّتِي سَمَّيْتُهَا لُغَتِي

وكَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّهَا لُغَتِي

وَقُلْتُ عَنْهَا إِنَّهَا لُغَتِي

وَهْيَ الَّتِي تَقُولُ الْيَوْمَ إِنَّهَا لُغَتِي

رِسَالَــــــةٌ

أيّتها اللّغةُ .

سأكونُ رفيقا بكِ لأني رفيقٌ بنفسي .

لن أُفشِــيَ من أسرارِكِ إلا جميلَ أسرارِكِ .

لن أصِفَ ازدواجَكِ بين حقيقةٍ و مجازٍ .

سأقول المجازَ .

وسأسكتُ عن الحقيقةِ .

ففي الحقيقةِ أسرارٌ .

و لن أفتحَ ديوانَ الأسرارِ .

فسرّكِ سرّي .

و أنا الـمُـصَابُ بكِ يـومَ حَـلَّ بنا وَبَاءُ الحرفِ . يومَ الْـتَــهَـمَـتْـنَا الكلماتُ .

فاحمدُ للهِ أن أنْجَـانَا ـ أنا و أنتِ ـ من الطّاعونِ .

أيَّتُهَا الْكَلِمَاتُ

جـائني هـاتفٌ من أقاصي الفجـر فأنْـــطَقَنِي بقولٍ و أوصـاني أن أقْرِئَكِ إيّـاه :

سـأقُصّ عليكِ قصّتي بما لم تعلميه من قصّتي . و سأقصّ عليكِ فيها ما لم يَعْلمـه قبلكِ عالـم . وسأقْضـي ستّـةَ أيام أقصّ فيهـا عليكِ صباحَ مسـاءَ لا أنقطـع عن الـقَصّ إلا ساعـةَ الليـل . و بعـدها سيكون كلامٌ . و ستكون نشأةٌ أخرى . و سيكون ما لم يكن .

فَاتِحَةٌ

في البدءِ كان الصّمتُ . و قبل الصمتِ الخَلاءُ . فَلِمَ الكَلامُ .
و كم من لفظةٍ قَتَلَتْ . و كم من سكتةٍ أنقَذَتْ . و أصحاب اللسان يتكلمونَ فيندمونَ . و أصحابُ العِيِّ يَحْلُمُونَ بليلة القدر عسى أن يُوهَبُوا كلماتٍ بيّنات .

و الأزهارُ تتناجى . و النّملُ يتحدث فيُفشي الأسرارَ . والأبْكَمُ حَاسِدٌ و محسودٌ . يَعرف أنه يُحبّ و يَعْشَقُ . و لا ندري كيف يحبّ و يَعشق . و يَعرف أننا نتكلم . و هو على يقين أنّنا لا نعرف كيف نُحبّ ولا كيف نَعشق .

و العُشاقُ درجاتٌ . و العشقُ مقاماتٌ . و الوفاءُ مراتبُ .
و أقربُ العاشقينَ إلى عرش السّماء مَنْ عَشِقَ اللّغةَ . و أولاهم بجنّة الخلد من عَشق حتى فَنِيَ و حَلَّ في اللغة حُلولا . فاتّحدتْ به . واتّحدَ بها .

إِشَـــارَةٌ

أيّتها اللّغةُ . أيا فُصْحَايَ. يا شاعرتي .

عندما التقينا . و دقّتْ أجراسُ السماء . بأنك قَدَري . كان اللّحَافُ يغطّي أشعارَكِ. و البُـرْقُـعُ يَسْتُـرُ وَجَنَاتك. أحْـبَبْتُـك كما أنتَ . ثم جئتِـنِـي إلى حيث أنا. وسألتِنِـي خلعَ النِّقـابِ . و خلعته . فأحببتُ عُرْيَ الكلماتِ . و انكشـافَ الحروف . و فصاحـةَ الحركـاتِ . ثم غـابت الأسبابُ . و انقطع البيانُ . و ساد الغموضُ . حتى رجعت تبحثين عن تأويلِ الكلامِ . ارتفع الحجابُ . و انكشفت الأشعـارُ . وتعرَّى الجـيدُ . و بَانَ الهلالُ وضَّـاحا مُشْـرقا . و قلت . أيا نـاطقي . حلّتْ بالكلمات حساسيّةٌ فَاضَتْ بها جلـدتي . فجلَوتُ بعضَ الحروف . ووضعتُ عليها حركاتــها . دَقّ النذيـرُ في خاطـري : هل زالَ البرقعُ أم ضاقَ اللّحـافُ. نـظرتُ في عينيـك . فأحسستُ بهمســةٍ تقـول : توارَت الحقيقـةُ. و ظهر المجازُ. فسَقط القناعُ .

حَسِبْـتُكِ لُغَتِي . لســاني و جنانـــي . فما كنتِ إلا لهجتي . و لا يعرف الضادَ غيري . كـلّ اللّغاتِ سَـوَاسِـيَهْ .

بَيَـــانٌ

أيّتهـا اللغة : أراك أمـامي نصّـا . و أراكِ قصيـدة . فأتـذكّر الحسنـاءَ أتقصّى جمالَهَا . فـأدركُهُ و أدركُها . و لا شيء يفـرّق بينها في ناظري و بين جَمَالها . و أتأمّل شأنَكِ فيأخُذُني الضّـلالُ ووجهي حائلٌ . مَنْ أنتِ وَفيمَ جَـمَـالُكِ .

لنّصِّ تَعَاقُبٌ و استتباعٌ . تتوالى أجزاؤه كتوالي دقّات السـاعة على الجـدار . و القصيدة تَـدَرّجٌ و استكمالٌ . ينثنـي فيها الوقعُ على الوقـع كانثناء أنّـاتِ القلبِ . و يتـراوح بيـن مفاصلهـا نبضٌ كتـوالي خَفَقَـاتِ الـدَّمِ و هي تمـور بين ضـخٍّ و امتصاص .

إذا تعلّقتُ بجمال الكائنات رأيتُ فيه بعضًا من نفسي . ثم إذا تأمّلتُه رأيتُه صورةً كاملةً ممّا في نفسي . أهيـمُ بالكائن الجميل لأنني أتوسّل به إلى نفسي . فَـأهيـمُ بـه على قدرِ هيامي بنفسي .

أمّـا أنت أيّتها اللغـةُ فأجـزاؤُكِ صنيعتي . أراكِ منّـي فـأعْجَبُ ممـا صنعتُ بِكِ . عَجَبي أنيّ أقتنصُ أسرارَكِ . و أنيّ بأسرارِكِ أقتنصُ النَّاسَ . فـأجـرّهـم إلى مـملكتـكِ . فـلا أبـالي أنْ نَسُـوا أنيّ المستضيفُ لهم

عندك . وَأسْعَدُ . أنْ تركوني وهاموا بك . كذا شأني مَعَك . و على غير شأنك شأني مع الحسناء لا يُميتُ سُوَيْدَاءَ غَيْرَتي قاتلٌ . فهل أنت خادعتي . أم أنا السّيّدُ . أم تُراني كَمَلك اعْتَصَمَتْ به سبيّةٌ فَأجارَهَا صُبْحًا وَلَمْ يُمْسِ إلا و هو أسيرها .

جَمالُنا إذا أقر لنا الناس به . فَأسْلَمُوا إليه أنفسَهم . و جمال اللغة من إيمانهم أنَّ لنا عليهم سلطانا . و أن طريقنا إليهم فيه طريقُ اللغة . بها نَنْفَذُ إلى خَلَجَات قلوبهم . و بها نستولي على مَرَاكِن عقولهم . و بها نروح عليهم و نغدو .

جمالُ الكائنات كلّ إذا جَزَّأتَهُ أفسدتَ على نفسكَ ما كنتَ مطمئنا إليه . و عكَّرتَ صفوَ اللّذة التي كنتَ تَرتشفُ . و جمالُ اللغة كلّما جُسْتَ بين أجزائه ازددتَ بالكلِّ افتتانًا . و ازددتَ للصّورة التّامّة إجلالا .

أيتها اللّغةُ :

هل تَأذَنينَ بإفشاء سرّ من أسرارك .

يوما ركّبْتُ بك قولاً . فانساقَ ليَ الطَّيْشُ بالألفاظ . فَلَمْ أدْرِ ما كنت أعْنيه . وأمْعَنْتُ . فَتَزَيّنَتْ صورةٌ . لم أفهمْ لها معنًى . رَدّدْتُ القولَ فاستطبتُهُ وعاودتُ . فانثالَ فيضٌ من الدّلالات . وَأشْعَتُ فَقَبلُوا . و استراحوا . ثم سَلكوا في النّشوة كلّ مسلك . فأغراني

عَبَـثُ الولـــيد . فظـلّتْ معـــي زمـــنًا . و أردتُ تـوبةً . و استغفرتُ لديك . وَهمَـمْتُ أنْ أعْـلـنُ الذّنبَ . وأنْ أصّعّـدَ على منبر الاعتراف . أطـهِّرُ النفسَ من أعـلاقها . وأغْــسلُ بالبوحِ إثما ظلمتُك بـه . و أنا بين عزمٍ وانثناء سمعتُك و سمعتُ مَن حَـوْلَـك تُـهاتـفـينَ ، و يهاتفون :

ليس مِن عبثٍ ما صَنعتَ . إنما العبثُ مـا ستَـصْنَـعُ . فلا تُكَـابرْ . فلقد نَطَقَتْ على لسانكَ اللغةُ . أرْسَـلَتْ إليكَ واحدًا من جنودها . وَهُمْ نَـفَرٌ من الجِنّ قالـوا آمَـنّا . فماهم بِمُلحِدِين . فلا تَسْتَعِـذْ باللّهِ من طيفٍ أَلَـــمَّ بِكَ .

و من يومها . تَـزَيَّـنَـتْ لِـي فتنةُ الكلمات .

خِطَـــابٌ

إليكَ أيا سيّـدي أنا أتحدّثُ . إليك أزُفّ اللّفظَ عريسا مُــخَـضَّبًا .
إليكَ أنا أتــحدّثُ . حاضراً . أتحدّثُ . غـائبًا . أتحدّثُ . الكـونُ ملءُ
يَدي . أتحدّث . أوقفتُ يوما ناظري . و أمسكتُ عن الحديثِ . و أعلنتُ
عن حفلتـي . و مـــراسمي . أستقبـلُ النـــاسَ لـــولائمـي . و أشعلتُ
الشمـــوعَ . و أوقـدتُ العطـورَ . ورأيتُـنِي أتحدّثُ. إليكَ أيـا سيّـدي أنـا
أتحدّثُ . حاضرا أتحدّث . غائبا أتـحدّث . أفـْتَـرشُ الـزّرَابِيَ . والموائدَ.
وَأرُشّ رذَاذَ الفـوائحِ . أتحدّثُ . وأدُقّ على الجرَسِ القويّ. مُـؤَذّ نًــا . أنَّ
الضيوفَ . كـالقادمينَ . يتـزيّنُونَ . ويُفاتــحُونَ . مُهلّلينَ. يبـاركونَ .
جـاؤوا إلى حفـــلـةِ الإقبـالِ . جـاؤوا و في يَـدِهِمْ. كهـديَّـــةِ الأعـياد .
فيــــضٌ مــــــن الأزهــارِ. و تســاءلــوا. أينَ الأنيسُ . و أينَ لحنُ
غنائنـا . وتقدّمتُ الخُطَى. متهــاديًا . أتحـدّثُ. وَ يَـدي تُصَافِحُ. والأذنُ
تَـهْـمـــسُ. و الشّفاهُ على الصّدَى . و اللّحنُ سكرانَ يُغَنّـي . وأنا الذي .
إليكَ . أيـا سيّـدي . أتحدثُ. و القـادمـونَ تكاثـروا . و الشـاهـدونَ على
الأرائكِ. أتحدّثُ. و طـاف بالجمعِ السكـونُ . و خرج النّـادل . فَفَككْتُ

من يَـده الأطبـاقَ . و قلت . أنا أتقَـدَّمُ. ورأيتُني . أتحدَّثُ . فــوزّعتُ العقـــودَ. و أسدلتُ الفواكــهَ . و صحْتُ بالـواقفينَ. دونكم أتحدّث . فتخالطوا . وتهامسوا . وقال قائلهم . هي ليلتُهُ التي . عن فجرها يتحدثُ . عن نـورهـا . يتحـدّث . هاذي ليلتُـهُ التي . نحنُ الشهـودُ . و عقـدهـا يتـواتَرُ. لا تَــنْثُرُوه . وجُــمَــانُهُ المصقـولُ. كمُـرجانِ بحـرٍ. لُؤْلُـؤُهُ الـمَحَارُ. و فيضُهُ لا يَنْضُبُ . فتنـاغموا. و تهللوا . و سمعتُني أتحدث . حتى إذا طـاف بالألـقِ النّهَـى . جـاء الـمَلاكُ. و انتشر البيـاض. و سَطَع النور. ووجدتُني أتحدث . وامتدّت الأيدي . وتهاطلت الأكُفّ. وقلتُ. أنا أتحدّث . إليـكَ أيا سيّـدي أنـا أتحـدّث . وأسلمت النّفـوسُ رحيقَهـا . و طـافَ بـالكـون الخلـودُ . وتشقّقتْ فـوقي السّماءُ. و اصّعّــدَتْ نحـو المعارج . في ليلتي أتحـدث ووجدتـني . كَمَنْ هَـفَا . وَلطَيْفه . يتحدّث . ووجـدتُنــي . بيــن الخــلائلِ . أسْـتَرَقُ الوَفَــاءْ . وأنْــسَلَ . و القلبُ واجــف ووجدتُني . أتذكَّــرُ. طولَ الخُطَى . عَـرْضَ الفُؤَادِ . إليكَ . أيـا سيّدي . أتحدّثُ.

صَـــوْتٌ

هل تَـذْكُـرُ يا هـذا. مـا أنتَ إلا يتيمُ العقل . شقيٌّ بحسّــه. هَــلاَّ ذَكَـرْتَ يـومَ كـان أوّلُ مواعيـدِ الأنسِ . سـاعـةَ طَـفَـحَ البريقُ في هـدوء السّاكنينَ. فقالت. ألاَ تـرَانَا قـد سَـوّيـْنَـا لأنفسنا صُـوَرًا تُفـارق الحسَّ و تتوسـّلُ بالسماء. ألاْ تَذكر كيف اعتَصَـرَ كـلامُها في نفسـكَ رحيقــا. و انقبض قلبُك انقباضةً. ولم تُـخْفِ عليها شيئا . قلتَ. الومضةُ حارقةٌ. والحسُّ شفّافٌ. و النّباهـةُ من الشّيطانِ . فكيف جاءتـكِ و لم تجئني . أمِ اسْترقتِ سمعا. و قبضتِ قبضةً منْ أثَـرِ .

ومازال الكـلامُ بكَ. و مازلتَ بـه. ولم ينفكَّ الشك يرتـادُك . حتى كـانَ الذي كـانَ. في آخرمـاكانَ. فأيقنتَ أنها قـد سُوِّيَتْ روحـا من غير أرواح الكائنينَ.

أيتها اللّغـةُ . منكِ الشّعـرُ . وأنـا صائـغُـكِ.

فَـلْـنَكْـتُبْ .

أيّتهـا اللّغــةُ. لا أقْــدِرُ أنْ أراكِ على غيرِ مـا كنتُ أراكِ عليـه. لا أقدِرُ. لاأقدِرُ.

و من أقاصي المفازات. حيث أذنَ للّغـة أن تَتَخَـلَّقَ في تجاعيد التـّربة الصّفراء جاءني رسولُــهَا. فَتَمَثَّـلَ لي جِـنّيّــةً تقول الشعرَ. و تُلْهمني أن أقـولَ الشعرَ. فتقـاضينا. وتلـونـا تسابيحَ اللفظ. ولم تنفكَّ تُـرَاوِدُنِي على قوله. و أنا كَالْـحَرُون. وكان الإذعـانُ أشقّ علـيَّ من قَلْـعِ الأضــراس الحيّة. حتّى ارتـاض بـيَ الألـمُ. فَـنمْـتُ.

ثم تمايلتُ ثَمـلاً على السرّيـر. و الفضـاءُ من حـولي فسيحٌ بظُلمـة أحبّهــا. تمــــايلتُ. وألْقَـــيْتُ بـــذراعي. وكـــانـت مسافــــةٌ تَفْصلُـني. فَمَـدَدْتُ. و تحسّستُ. و استنشقـتُ أعلىَ الكَتِف. و كان بلا غطاء فغطّيتُهُ. و قفلتُ نائما. وَدَبَّ نداءٌ. فكتمتُ صوتَــهُ. وتسلّلتُ إلى فضاءِ الظلمــة. تـاركًا مـا تـركتُ. الـرُّبى منتفضةٌ. و اللّـون ساطعٌ. السَّــنَـمُ على الـرّبى يتشـامخ زهوا بحمـرة تكـاد تتكلّم. رمـالٌ ذهبيّـة تتجاعـد. ولاتَقَـرُّ على موج. مَـدُّهَـا إلى الهضـاب. و ارتدادُهـا إلى النهر يفـورُ. و بينهما رحلــةٌ تَــشُدُّ الأنفـاسَ. كأنفــاسِ غَــوَّاصٍ إلى أعماق الــلآلـىء إذا أطــال الصـّبرَ تَـنَـامَى مَــحَــارُهُ. و اشتـــدّتْ دانـتُــه. و قالت. دُونـي مَشارفُ الـغَـرَق.

و تحـرّكَ النائمُ. حَالـمًـا. انفضَّـتْ سـدائلُـهُ. يحُـرّكُ الخمائلَ مِـنْ عَلَــى الأكتـاف. و الجيدُ كـأنه يَــقْفِزُ. مُلاَعبًا مَنْ يَــرْقُبُ. و تَسَلَّــلَتْ أصابعُـهُ و هي نائمةٌ إلى مَفْرَقِ الجبينِ. وسَـرَّحَتِ الأشعارَ. ثم قَذَفَتْ بها

على البساطِ . و ابتسمتْ . فأيقظَها ابتسامُها . يقظةً استدارت بها الكتفُ . و ارتختْ الأَطرافُ . كأنها الشمس بـازغـة . والجسـدُ الجِـنّـيُّ كالعاري . يَستقي شعـاعَها على رمـلٍ فضّـيٍّ . ثم اعتــدلت الهضـابُ . و أومــأتْ تـلالُـها . و انفسـح المـوجُ . و اقـتـربتِ المسافــاتُ . و استوت الأطرافُ ذاتَ اليمينِ تتكـاسل في رفــقٍ يتأذّى بـه فاقـد الصّبرِ . وغَمَـزت الجنّيّــة وكأنها اللغـةُ . وَمـدّتْ . فظنـنـتُـهـا قــادمةً . فعــرّجت ُعلى الجـانب الأيمن . فحاضنتُــها . وَمَـدَدْتُ إطــلالةً . و قـاربتْ أنفاسـي ساطــع الأنـوارِ . فشممتُ وَهَجًا خِلْـتُــهُ الكبريتَ يَصَّــاعَـدُ مـدفـوعا بِشَـذاً الإِصباحِ .

عُدْتُ أرَافِــقُ . فانتدى مَا اشْــتَدَّ . وَلان اللحظُ حتى رَقَّ فارتخى الزّهـو . وهَـتف الـــمَـيْلُ . و خلْتُ أني أقـول الشعرَ . وراحت أصـابعي تَرْسُمُ الحروفَ . تُـمرّرُ الأنـاملَ على ما انكشف من الكلمات . فكأنها بكل لمسةٍ تتفــوَّهُ . و بكلّ رعشةٍ تَـنْبُسُ بـأوتارِ صوتٍ بليـــغٍ يُــفْصح بلا مجـازٍ .

وزاغت اللغة . وأنْـشَدَ النّـهرُ خــريـرَ الألحانِ . تسمع الصوتَ ولا تراها .

و تَـمـايــلَ القـدُّ علـى البساط تقــول إنه يَـمشـي الــخُطَى و لا يـتحرك .

و ظنـنـتُ أنّ ما باللغة بي .

فـأضرمتُ الهشيمَ . وفـاح لَـهـيـبُهُ .

وقلتُ . صَـَنعْـتُـهَا .

فانْـتَـفَضَـتِ الكلماتُ . وَارْتَدَتْ . و خرجتْ هاربــةً . ثم انفلتَـتْ

كأنّـهـا السّهـمُ و هي تقـول إنـي أثْـأرُ .

فلـم أجِبْ .

و لكنـي أفَـقْتُ .

فلـم أجِـدْ شِعْـرًا .

نَغَـــمٌ

أيتها الفصحى .

مَـن شَـقَّ هضابَـك . و تسلّق جبالَـك .

من ألان صخركِ . وَثَـقَّـفَ أشجارَكِ .

من فَـجَّـرَ عيونَـك . وَأسَالَ أنهـارَكِ . وسَـوَّى بهجـتَـك .

من أغراكِ بنفسِـــكِ فأخـذكِ الـتَّـيْـهُ حتـى عُـدْتِ إليه تشتكين لَحنَ العابثينَ .

قالت :

ليس في الكون مخلوقٌ إذا ادّخرتَهُ ذَوَى . و إذا أخذتَ منه زكَا . و إذا مَضَى عليه الْـحَـدَثَـانِ نَـمَـا . و إذا أفْـنَـيْـتَـهُ انْـبَعَـثَ .

إلاّ أنَـا .

أنَـا اللّغة .

قال . فلن تَـخْـرُجي و إن قَضَيْـتِ عمـرًا وعمرًا عن فَلَكي . يا مَـنْ دخلتِ حـرّةً إلى فَـلَكِـي . طـائـعـةً سائـغـةً لن تَـخـرُجي .

قالت :

إليكَ أسْلَمْتُ نَفْسِـي . يامن أخْصَبْـتَنِـي بأجِنَّـةِ المعانـــي . يا مَـن

حَـمَّـلْـتـَنِي من الـدّلالاتِ مـا لـم أحْـمِـلْ .

أيتهـا الـضَّـــادُ .

بضفائرِ حـرفك تُكَابـرينَ . و بنثائر لفظـك تَـتأبَّـهينَ . أخـال أنني أصنعكُ . فَـتَـلُفّينَ حَرُونًا . و على شفـاهك ابتسامةٌ من بَـنَات حَـوَّاءَ . أخذتـها تُـحَاكِينَ بها الآدميّينَ . وأنت الـرُّوحُ لم تَرْكَبي جَسَدًا . تـغْوِينَنـي . فَأمْـسكُ بك . أعْـرُكُ عَجِينَـتَك . حَتَّـى تَلين . أريـدُ الأناملَ أن تَـمُـرَّ مَـرًّا خفيفًا . فإذا هي تَـجُـوسُ غائرةً مـن لـين صَـلْصَالـك .

أصْـنَعُ الْـمَعْنَى . وأرْسـلُ به . و كُلِّي خُيَلاَءُ بما صَـنَـعْتُ فيرتَـدُّ إليَّ .

و قد ابتسم له المتلقّفـونَ . وَغَمَزُوا بي . و تهامسوا : لم يَدْرِ أنّـه المصنوعُ . وأنّ المعنى صانعُـهُ . فأكتوي بمكرهم . وأتأوَّهُ بحالي مَعَك .

والـذينَ أعجزْتِـهمْ . وَعَقَلْتِ لسانَهم . كَـبَعِيرٍ ثَـنَـوْا ذراعَــهُ . و كفارسِ النّـومِ يرومُ ركضًا . هـاهم تَشَـرَّدُوا عنكِ . فالتفُّـوا يراودونني عليك .

هاهم يقولونَ .

مفـتونٌ بضَـاده . فَـاتـنٌ .

هـاهم يُـنْشـدُونَ .

أيتها الضَّـــادُ .

الـروحُ أنتِ و أنتِ الروحُ فاستمعِي .

الرّوح أنت و أنت الروح فانهملي .

هونّـي على سـائلك . وألهـميـه ظنًّـا يَشُـدُّ به أوْدَتَـهُ . وَسرّحـي له الشّكائمَ. و اتـركُيه على بعضِ وَهْـمه. أنَّـهُ يَصنع فيك صُنْعًـا . و يُـركّبُ بكِ أصْبَاغًا . ثم يسوّي بـكِ تمـثـالا .

فإذا انتهى إلى الميعادِ . ففاتـحيـهِ بلطـفٍ . وَصَوّرِي له مرآةَ الظّلّ .
و لا تخافي عليه. فبعضُ الجمـالِ أقسى من بعضٍ .

لن يَقْـذفَك برصفٍ . و لن ينـالك منه سـوءٌ . فالكـائنُ الْـجَسَدُ أعْجَزُ من أن يُـلَوّثَ بنُـفَاثَـتِـه شُهْدًا مُصَفًّى. فيهِ سحـرٌ . و فيه الحجَى .
فيهِ الـوَجَعُ. وفيه الشّـفَاءْ .



عَلاَمَـــةٌ

أيتها العربيّـةُ .

لأنْت لـذّةٌ تُغْـرِي . لَلشّعْـرُ حرّيـةٌ لا تُبَـالِـي . و العـزّةُ مُـدْيَـةٌ تَستأصِلُ الأورامَ . أقـولُ فـأرتوي . وأصْمُتُ فتختال نفسـي . يَرَى الجائعُ شهِيَّ الـمطَاهِي . فَـيُمْسِكُ . و تَـمْتَدُّ الكـأسُ الـزُّلاَلُ للظّـمْآنِ و هو يتلوّى كَالْـمَجْمُورِ . فَيَلْعَقُ الرّيـقَ مُتَبَلّـلاباللّطف .

ويتصلّبُ التّوْقُ . مُـخَـاتلاً . ثم يَـغْـضَـبُ . كالحليمِ الذي أفقـدوهُ الصبرَ فلم يَـبْـغِ احتسـابًا . و كعـاشقٍ تعلّقـوا بـه . فألآنَ عِـنَـانَ النّفس . وأهْـدَى شكـائـمَـهَا . ثم فعـل الـدَّهْـرُ فِـعلَـهُ . فأَنْسـاهم شأنَـهُ و ما فَعَلَ فَأقْسَمَ متوعّدًا . ولم يَـدْرِ أنه يكرّرُ السخـاءَ .

أنا الكـلامُ .

أنا اللسـانُ .

فـوقَ كلِ هَـوًى كبريائي .

فـوقَ كلِ الناطقينَ شُمُوخِـي .

خُلقْتُ أنــُوفًا .

سَأبْــقَى .

لاَ أطْرُقُ الألفــاظَ مستنجـدًا .

لاَ ألْـثـمُ الأرضَ باكيا عـزَّ الحبيبِ .

أدوسُ على الحسِّ المفـيفِ .

أقْبِضُ الأنفاسَ لقلبٍ وَالــه .

و أقول في صمتٍ و في وَجَــعٍ .

لا خيرَ في شعرٍ سقـاني الْـجَوَى .

وَ أضْعِف نفسـي فَـأذَلَّـني .

لا خيرَفي لفظٍ يُـجَرِّدُنِــي شموخي و كبريائي .

تَـصْـغُرُ الدنيا و تعلو لغتي .

ينحني الشعرُ و تَـشْـمُخُ عزّتي .

لاشعرَ عندي إلا متى يسابقني اللفظُ في طاعتي .

وجاءت اللغـةُ . تمــشي الــهُوَيْـنَـا . بألــفاظها . بكلِّ الكلمـات . جـــاءت . وفي عزِّ كِــبْــرِهَا . و جبـالُ التّيـه شاهــقةٌ . وهي نافــرةٌ . سكْرَى . مكابِـرَةٌ . أقسمتُ عليهـا . وَأضْمَرْتُ يميني . لَـتَـعْرِفِينَ مَعي . كَـرَّةً أخـرى . حرْقَـةَ الشّعـرِ و أوجاعَ الكـلامِ . وَلَـتَلْثِمــينَ مدَادَ اللفظ ساجيَـةً . وَلَـتَطْلُبِينَ رحمةَ الأرض و هـي ظامئةٌ . وَلَــتَـهْـمِــسِينَ . بكلِّ

الجوارحِ. قائلةً. لاهثـةً. اسقـنِي بربّ الكون. واغفـر زلّتي في الشعرِ. ما كان حقّي أن أتيـهَ. ما كان حقي أن أجُـورَ.

كُـلُّ مَا تَـأْتـيه مُـطَاعٌ. مقـدَّسٌ. أقَبّـلُ الأطـرافَ. و أنحنـي.

و أقول في غير تَـمَنُّـعٍ. ماشئتَ. روحي إليكَ. و هبتُـها يَـا آسـري.

أيتهـا اللّغـةُ.

أزا كِ تراودينني. وأمرُكِ نافـذٌ.

بنفسكِ لن تُـغْرِيـنـي.

لن أقول بك شعراً.

لن أمَكّـنَـكِ من نفسي.

تَـمَـرَّدِي ما شاءَ لَـكِ الإبـَـاءُ.

راوغيني كيفما بَـدَا.

ثم عُـودي فـأسْلِـمي.

فأنتِ صنيعتـي.

نَـــصٌّ

زارني يومـا شيطـانُ الشعر . وحادثني . ثم رَوَى عني مفتريا . قال . صـــادفني على غير ارتقـاب رســولٌ . دَفَعَتْ بــه حــرّةٌ . كــانت تقول . كلّ الرجال قَـفْرٌ . و بعضهم قَـفْرٌ و جَـدْبٌ .

فَأَسَرَّلـي بها أسَـرَّ . وانتَـظَـرَ . فقلتُ له . حبُّ الكلامِ من الهوى . و الهوى يـُورّثُ الغوايــةَ . قال . ومـا حبُّ الكلام . قلتُ . إذا تَـحـدثْتَ و الناس حولَـكَ . بعضُهم يَسمعُ . و الآخركأنما يَسمعُ . و قليلٌ منهم مَنْ يُصْغِي إليكَ . قـــال . أفليس حبّ الكـلام من حبّ العبــادِ . قلتُ . من أحَبَّ الكلام أحَبَّ نفسَـه . و من أحبّ الناس أصغى إليهم .

قال . و هل تتبـدلّ الأحوالُ .

قلتُ . إي وربّي . إذا خـاطبتَ أنيسَك وبينـك و بينـه المسـافـاتُ . فـالكـلامُ إليـه أرواحٌ مجسَّـدةٌ . و الألفـاظُ على الشّفـاه و على الخطـوط كائناتٌ تتنفّسُ . و تَرتدي الأثوابَ . و تــَرُدُّ عليكَ الصّدى . تقولُـهـــا . و تَـلْمسُها . ثم تراودُها . فتضمُّـها . فتُـعانـقُكَ . ثم يَـلَذُّ لـك إثارتهُـا . فتثورُ . و تُـمسِكُ بكَ . فتحتضنُها . و تفارِقُ بها الأرضَ . و ترفعها بيديك

إلى فضاء السماء . ثم تستقبلها . و قد ضَحكَتْ إليكَ . فَتَضغَطُ بصدرك ضغطةً تُطْلِق أزَّةً و لا تُفصِح بالأنين . حتّى تَصيحَ حروفُها فَرَحًا . وهي تتألم . ومازلتَ بالكلماتِ . و هي بك . حتى تَحْسَبَ أنها غيرُ الكلماتِ قد حضر إليك . كما تحضر الأرواحُ . فلا تُسَلِّمُ جفونَك إلى مَنَامِ الليلِ إلا وهي في أحضانك .

قال .

فسمعتُ الحرّةَ بعدها تُرَدِّدُ . و تقول . كلّ الرجال كأشباهِ الرِّجالِ . إلاّ واحدًا . ولم تزد شيئا .

ثم هَجَرَتْ قومَها . و صَبرتْ على الأذى . فطلبوها . فأرسلتْ إليهم :

إذا طرأ الطارىءُ . و ارتجّتْ القواعدُ . فاندكّتْ أبوابُ النفس . و إذا ماجتْ الأركانُ . و تداعتْ الجوانحُ . فَتَمايَسَتْ أعمدة اليقين . و إذا تكاثفت سحب الشك . و تلبّدت الغيومُ . فدوّت الأعاصيرُ . حتّى لكأنّ الدنيا غيرُ الدنيا . و إذا النفس أنكرتْ نَفْسَهَا . و الجُحُودُ على الأبواب . و المِقْصَلُ يهوي على ما مضى قَطْعًا وَبَتْرًا . والتاريخ سَلَّةٌ كبرى . واليد كالأظافر . تَسْتَلُّ و تَنْهَشُ . تَحفِرُ في الذاتِ . و تغوص على الأغوار فَتُخْرِجُ ما تُخرِجُ . و تُلقِي ما تلقي . و تُعاد الساعةُ على أوّلها . يومَها قولي . أنا الفاعلةُ . يومها قولي . أنا الساعة . يومها قولي .

إني به . يومها شـُدِّي على الـمِعـْصَمِ . و على المسابـح . و اعـْقدِي ألـفًا
و ألفــا . قَطـرَاتٍ من الـوجد . كحبّـاتٍ من اللطف . يومهـا قـولي . ثم
قولي . إنــي أنـــا .

تَرْخِيـــمٌ

قال ابن الحسن .

«يا عبـدُ : الحروفُ كلُّها مَرْضَى إلاَّ الألفَ . أما تَـرَى : كلُّ حرفٍ مائلٌ . أمـا تَـرى الألفَ قائمًـا غيرَ مائلٍ . إنما المرضُ المـيلُ . و إنما الميلُ للسَّقَـامِ فَـلاَ تَـمِلْ . »

قالت الفصحى .

في الـدلالةُ أسبحُ . وبـالإيحاء أفْـتتنُ . و عـروسُ اللفظ شاعـرة . جاءت من الصحراء . جاءت و في يـدها . قنديلٌ من الأصوات . بَحريـّةً . جَبليـّةً . أفرغتُ شبَاكَهَا . و اصْطـفَيْتُ فصوصَها . و التذَذْتُ بصفـوها . و سبَـحْـتُ في الموج . غائصا . و جريتُ في الصحراء معانقا . لثمتُ شفاهَ الـرملِ حتى أذَابَـني . حُلْـوَ الـمَذَاق . عـاريَ الزَّبَــد . وأسْـدَلْتُ مـائلَ الشعرِ . و قلتُ للتي سَـبَحَتْ . فوقَ اللُّجَـيْـن . إلى الماء . فعنده خَـبرَي . ألوذُ و أطفو . كقـائلِ الشعرِ . في غَزَلٍ . و الأنفاسُ شـاديةٌ . أبحرتُ . إلى الأعماقِ . أهفو . كَـرَطْبِ النسيمِ . غاديـا في الجوّ . خَفَّتْ مُهْجتي . فـالمياهُ قصائدي . و الرمـالُ . و الأمواجُ . كَـنَسِيمِ لفظٍ . ساحـرٍ . و الشواطئُ .

كلُّها. تجري. راياتُها الشعرُ. و ألحانُها نَغَمٌ. و رحيقُ صفَوْيِ.
و الزّمنُ. يالفظي. و يا زمني.

رَدّ ابن الحسن.

قال

«يا عبدُ لا إذْنَ لَكَ ثمّ لا إذنَ لَكَ ثم سبعونَ مرّةً لا إذنَ لَكَ أنْ تَصِفَ كيف تراني، و لا كيف تدخلُ إلى خزانتي و لا كيف تأخذ منها خواتمي بقدرتي و لا كيف تقتبس من الحروف حرفا بعزّة جبروتي».

قال الراوي.

هو ذا الخاطرُ. مِن أعالي البرُجِ. و الكونُ أخضرُ. والأشعّةُ بازغةٌ. و الخالدُ. تَجري مياهُهُ. و الصَّحْنُ يدورُ. و قلب البرجِ ثابتٌ يرسو. و نحن طَوَافٌ. و كذا الدنيا. بنا. تمورُ. و الخاطر سائحٌ. واختصرْنَا الزَّمَنْ. مِنْ عَلَى البرح. و قلنا قصّةَ الألَمْ. وَحكَتْنَا أساريرُ البِلَى. وَصفَا الخِلُّ. وَسيقَ الدّهرُ مِنْ جيدِهِ. و قيل للكون. حَلّقْ بنا. وكَانَ الذي. قدأفصح بإعجازه. وجهٌ. كالصامتِ. ولَحْظٌ. كالتّائِهِ. وبريقٌ. خُذُوا الدنيا و هاتوهُ لِي.

أجاب:

«وقال لي تَعرفُ الأسماءَ و أنتَ في بَشَرِيَّتِكَ. يأكل الخَبَلُ عَقْلَكَ. وقال لي لِيَحْذَرْ مَنْ عَرَفَ أسمائي من خَبَلِ عَقْلِهِ ثم ليحذرْ

مَنْ عَرَفَ أسـمـائي من خَـبَلِ قلبه ».

قالت :

عيـدٌ من الأعيـاد جاء مُصَـافحًـا . فـالمواليدُ شَتَّى . و الأعيـادُ بـلا حسـاب . وعيد اللفظ هـو العيـدُ . وهـو بمفرده عيـد الأعيـاد . مَوْلِـدُهُ الـذّكرى . و الأعمارُ خـالدةٌ . أنـا اللغـةُ . أوقفتُ عَـدَّادَ الـزمن . أوقفتُ عقـاربي . كُبْـرَى و صُغـرى . أوقفتُهـا . عطّلتُهـا . سـاعـة الـزمن . على الجدرانِ . وفي المعـاصم . و على التّلاَلِ . كلُّهـا . سـاعةُ الـزّمن . سـاعـةُ التاريخِ . تجمّدتْ . في شرايينـها . دماءُ الـزّمنِ . أهدرتُـها . قلتُ للأيامِ . كما قلتُ لـلأعمارِ . هُـبُّوا . و تجمَّعـوا . هو البـدءُ و المنتهـى . و بـرازيخُ النُّهَى . و اليـومَ . أيا لغتـي . أيا ضـادي و جنـاني . أُهديك مـا أُهـديك . أهديك خَاتَـماً . بالأُلْـمَـاسِ مُشرْقـةً . وَضَّـاءَةً . تُـحَوّلُ الأبصارَ عن وجنتيكِ . فأنا أغـار على وجنيتك . وأنا أخـاف الناظرينَ . الفـاتحينَ أفواهَ العيـون . و السابحينَ . كـالغرقَى . في لُجِّ الجمالِ . جمالِـك القهّـار وقـد رَوَّضَنِي . حتى غـزاني . فأحببتُـه . و استطبتُ هزيمتـي . اليومَ أهــديك قلائدي . أهـديك . أسواري و مسـالكي . أهديك خريطـةً . مرسـومةً . تَسيحينَ بها في الأزقَّـة . في الأدغال . وفي الزوايـا و مـكامني . تتجوّليـن و الـمعطفُ في اليَد . و الشتاءُ بعـزّه . تتجوّليـن . و الشمسُ بازغــةٌ . و الغمامُ مظلّـلٌ . في القيظِ . وفي العواصفِ . في الحرِّ و في الشتـاءِ . و في

كل زمنٍ . أهديكِ خـريطتي . و مَرَاكبي . تَطُـوفينَ . في بحر الهوى . وفي العـالم المسحـور . وبين شوارعـي . اليومَ أهـديكِ أغنـيَّةً بلحنٍ خالــدٍ . بِـوَهَجِ الشوق . بِكبريتِ الـوَجْدِ . أوقِـدُ الشموعَ .

أهــديـكِ .

ما أهـديـكِ

أهــديكِ اعترافي .

قال .

« ياعبــدُ

الحرفُ نَـارِي .

الحرفُ قَـدَرِي .

الحرفُ حـتـمِي مِـن أمْـرِي .

الحرفُ خـزانـة سِـرِّي .

يا عـبـدُ .

لا تَـدْخُلْ إلى الحرفِ إلا .

و نظـري في قلبكَ .

ونوري على وجهكَ .

و اسمي .

الذي .

ينفسح له قلبُـكَ .

على لسانـكَ (. . .)

فإذا أرسلـتُـكَ إلى الحروفِ .

فـلْـتـقـتـبسْ .

حرفـًا من حرفٍ .

كما تَـقْـتَـبِـسُ .

نارًا من نارٍ .

أقــولُ لَـكَ .

أخْرِجْ أَلِـفًا من باءٍ .

أخرجْ باءً من بـاءٍ .

أخرِجْ أَلِـفًـا مِنْ أَلِـفٍ . »

قال .

إني زائـرٌ و أهْوَى . سـائحٌ و الوجدُ معي . راحلٌ وَ حَــقِـيـبَـتِي . شوقٌ وحبٌ و أحلامْ . شاعـرٌ . وأنـثُـرُ الدرَّ على الكلماتْ .

أيتها الكلماتْ .

أيتها الكلماتْ .

هل تسمعـينْ .

هل تسمعيـنْ .

أنا ما تعلّمـتُ أنصافَ الحلول . خُذيهَا أوْدَعيهَـا . لا شيء بعد اليومِ أنْـكِرهُ . ولاأبِـيٌّ على الأشجانِ يَـنْكسِـرُ . أنتِ اللغة . أنتِ اللغة .

قال .

« يا عبد .

ما قلتُ لَـكَ ذَلِـكَ .

حتى هَـدَ يْـتُـكَ لِذَلِـكَ .

فرأيتَ ذَلِـكَ .

رآهُ قلبُـك .

و عرفتَ ذَلِـكَ .

عَـرَفَـهُ قلبُـك .

يا عبـدُ .

ما لأفكارِكَ .

تنعطف على أفكارِكَ .

وما لِـهـمومِـكَ .

تَبِـيتُ و تُـصبحُ .

في همـومِـكَ » .

سِهَـــةٌ

يُـــحكَى أنّ امـرأةً من ذوات الأسرارِ كـــانت فيما مضى لها من أيّـام العمر إذا تحدّث النـاسُ عَنِ الصَّـبَابَة تَأَوَّهتْ. و إذا تحدثـوا لها عن الجمالِ تنكّـرتْ. و إذا جـاء ذِكْـرُ الـرّجـــال التفّت على نفسهـا . و انقبض منهـا الجسد. وامتدّت الخلجات. و ابتسمت. كـأنما تريد ضَحكًا يُلقي بها على مَدَدِ. و كانت تخلوكلَّ ليلة فـلا تنفكُّ هائمةً حتى يَـحضر لها من عالَـمٍ لا تعرف مَوْرِدَه رسولٌ يتمثّل إليها بهيئة نـافث الشّعرِ. فتخاله ملاكا مُلهماً.
و كانت تَـرْفُلُ بـه. فيقول. حدّثيني بالذي تَـجِــدينَ. و ماهي إلا رهبةٌ حتى تَـقُـصَّ عليه قصتَّـهَا مع الأحشاد. ثم تَـلْعنهم. فينصرف.

و في ليلة دَعَـتْـهُ فَـأبَـى. فَسكَنَـتْ إلى عزلتها. وقالت. هذا نذيرٌ. ولـمْ تكتـرثْ.

فلقد نال الزمانُ من عزمها حتى ارتاضت جَـلَـدًا .

فاستلقَتْ. وأغْمضتْ. ولم تكن من حولها الأنوارُ. وقالت. ما بالُ النـاس واهمينَ. ما من أحـدٍ يروح و يجيءإلا و أنـا عنده من أسعـد خلق الله. يـراني على خُلُقٍ يَفعل في النفـوس فعلَ الآخذيـن. ويَشهد مـا يعتري

الوجنةَ مـنّي . فـيُشْـفقُ إشفاقا يَعـزُّ عليه . و يراني على يقظةٍ ليست كيقظةِ حَـوَّاءَ . حتى إذا ضـاق أمري أبديتُ انشراحا . و مـا هو بالانشراح . وإذا اغتــرَّ الناس بي أفَضْتُ عليهم من رحمتـي . و النار تلتهب في جـوانحي . أكتم الغيظَ . وأقولُ . قَـدَري .

و مرّت الأيـّامُ .

وازدادتْ الأيـّامُ .

و أبرمتُ في دُنْـيَايَ عَـقْداً قلتُ لا ينصرمُ .

هــي ذا الحيـاةُ .

أنسْتُ بَشرّهَـا .

حتى قلتُ هي لي . وهو منها .

أقْـبَـلُها كارهـةً .

و أطَهّـرُ ما تَـجيـئـني به .

أغْسلُ الأدرانَ .

وأصْمُتُ .

وارتضتُ بما أنا عليـه . وارتاض بي . و أنسـاني اليأ سُ كلَّ أدعيتي . فلم يَـبْـقَ لي منها إلاّ دعاءٌ كنتُ أردّدهُ كلمـا حَلَـلْتُ بين السّواد يَـغْـدُونَ و يَرُوحُونَ . فأقول . اللّهـمَّ إن الصّمتَ عبادةٌ . اللّهمَّ إنّ الصّمتَ عبادةٌ . و كنتُ أحـرّكُ به لساني . و لايُسْمَعُ لي منه صَـــدًى . حتى كَشَفَتْ أمـري

كاهنةٌ. فَلاَ بَسَتْني. وَقَرَأْتُ تَمَائمهاَ. تُميط اللّثامَ. و أنا في عزلتي. كأنَّ بيني و بينها الأمَدَيْنِ. و كنتُ أقولُ. إنْ هي إلاّ واحدةٌ من السواد.

فَحَمْلَقَتْ و زمجرتْ و اعترى و جهَهَا الغَضَبُ و انبثق من مقلتيها شَرَرٌ كاللّهَبِ. و قَبَضَتْ على مَرْفِقي قبضةً أوجَعَتني. وما حَلَّ بالنفسِ أعظمُ. فرجعتُ نفسي إليها و كأنها من الأدغال. و سافرتْ بي فقطعتْ بَرًّا في رَحِمِ الأمزاج. ولما رأت في عَيْني بريقا اطمأنَّتْ و ضَمَّتْني إليها. ثم أمسكتْ مني الكتفين و تنحّتْ بوجهها عن وجهي و أسدلتْ ثوبي و ثوبها و طأطأتْ بالرأس و انتظرتْ حتى فعلتْ فعلها فقالت في صوت حنينٍ كأنه آهةُ الوضعِ تتلو أنّةَ الأوجاعِ والأمُّ يَقْظَى و الوليدُ على الفراش: سيأتي من يُبَدّلُ حَالَكِ و لا تَشْعُرِينَ.

و مضتْ و تركت في نفسي ما إنْ سألتُها عنه حارتْ جوابًا.

ونَسيتُ أمرَها.

ولا أذكر لها إسما.

ودارت الأفلاك. ولا يمزّقني الآنَ أمرٌ كما تمزّقني غفلتي عنها. تتآكلني الحسرةُ أنْ فرّطتُ في حبل الأسباب لها. وَعَلَيَّ ملءُ الأرض لو أنّ بصيرًا أرْشَدَنِي اليومَ إليها فأضُمَّهَا وأقَبّلَ منها الجبينَ.

مِـــدَادٌ

مِن النـاس مَنْ يُـفْـتَنُ في مَالـه . و منهم من يفتن في إيمانـه . وقـد يُمتحن المرءُ في بَدَنـه . وقد يُبْتَلَـى في عقله . ولقد فُتِنْتُ في كلمـاتـي .

و الفتنة دخولٌ إلى النار تَصْـهَـرُ الذَّرَّاتِ و تَصْقُـلُ فتخَـلّصُ من الأدران .

و العشقُ فـتـنةٌ للمرء فإذا المـرءُ في عِشْـقِـهِ فـإمَّا إلى انتحارِ الذاتِ بِحُبِّـهَـا و إما إلى خلاصها به إلى الأبَـــد .

فَـأنعِـمْ بها من فـتـنةٍ إن كان الخلاصُ مـآلَـهَا .

قالت الكلماتُ :

تَـاللَّه إنكَ لمحبٌّ لِـنَفْسِكَ . مُغْرمٌ بها . مفتـــونٌ فيهـا . متهافت على ما يُـرضيها .

قال :

إي وربِّ السّماءِ .

قالت :

ألا تراكَ متعلّقا بحبِّ من أحبّكَ أكثرَ مما أنت هائمٌ بمن أحـبّك .

قال :

لستُ أدري. ولا مُنَجّمَتِي تدري. ولكنّ الذي أدري أني ما عرفت نفسي إلا يوم عَرَفْتُك. عرفتـهُا في سرّها وفي نجواها. عرفتها على أسْنَامِ قوّتها وفي سُفُوحِ ضَعْفِهَــا. عرفتـها في كبريائها و فــي انعطافـها. وفـي خُيَلاَئها وزهوها كما في لِينِهَــا و انسياب أطرافها.

رُحْـمَــاك.

رفـقًـا بالرِّضَـى.

رفـقًـا بـلِـينِ الحـُلَـماء.

وسأل ابـنُ دُلاَمَـةَ أمَّـهُ عن سعير الغضب فقالت :

الغضب فتـنـةٌ فلا تصطـنعْهُ . فإن غَلَبَ عليكَ في خيرٍ فَـهُـوَ خيرٌ فاستعن به على تطهير النفس من أدرانها وَ صَفَـاء السريــــرة من غَلْوائها. و العُشّاق أشـدّ الناس غضبا و أسرعهم إليه فلا يلومَـنَّهم أحدٌ فيه . وإنما ترى الـواحد منهم يُكَابِـر فَـتَعـزُّ عليه نفسُـه حتى يسوء ظنّه بـالعشق فلا يَعْلَمُ الناسُ إن كان عاشقا أو كان مُصَانعًا حتى إذا غَضِبَ انكشف الغطاءُ وانجلت الحُجُبُ فَبَـانَ منه ما كان مُـخْـتفيـًا.

قالت دُلاَمَةُ : وهذا من أعظمِ أسرارِ الغضب و من أجَـلِّ فضائلـه.

ثم سألتُ بركـانَ الغَـضَبِ :

مَن أشعل نيرانَـكَ . من أضرم لهيبك و أطـال حريقك. من يـاتُرى أوْقَـدَ تَـنُّـورَكَ و فَجَّـرَ أفرانَـكَ. و من الــذي سَـلّطَـكَ فأمسكت بــي

و استعبدتَ فؤادي . ومن أوْقع بيننا فَرِكبتَني كصهوة الجيادِ .

قل :

لا تسألْ . فَحُمَمِي تُخْصِبُ الأرضَ فتتدفّقُ بها حُبلى وَلُودًا جنينُها الحبُّ يُبعث بعثا جديدا . وتُسقَى بِرُغَائِهاَ شرايين القلب فَيَنْبُضُ بما كان يَنْبُض به حتى الأزلِ .

قت :

لَبَّيْكَ يَا غَضَبِي .

لبّيكَ يا غضبي .

حَــرْفٌ

سئل الملائك أنَّ أهل الأرض قد استحدثوا من الأنا لفظا أطلقوه على من أحبّ نفسَه وآثرها على من سواها .

قالــوا : دأبُ أهل الأرض عصيانُ خـالقهم . فقد وَضَعَ لهم الأنثى ولم يجعل لهم لفظا . ووضع لهم اللغـةَ وجعلها أنثى .

هي تُـحبُّ فلا حبَّ كحبّها . و هي تتهافت حتى لهي إلى الفناء عالقة بـالعَدَمِ . ثم هي تُـــحبُّ حُــبَّهَـا . كحبّهـا من أحبّهـا . تَـلُوكُ اللّفــظَ . وتَعْلكُ الأوصافَ . وتُـحَــلّي الـمَـرَاهِمَ. وبيدها تَــصنع الْـبَـلاَسِمَ. تُــضَمّدُ ماحَـــفَـــرَتْهُ عَلَى الجَسَـدِ. وتُــواري مـا نَقَشَتَـــهُ على الـرُّوح من الـمَغَارِرِ.

مملكـتُها من هـروبِ الناس عن أحـوازهم . وعـرشُها من خـوفهم المكرَ واتقائهم مذلَّـة الأسْرِ وسـوءَ الإفصاحِ. والقوّةُ لها أنْ تُـمسكَ بمن حَـوْلـها من مقابض الـوَهَـنِ ومَـرَابِضِ الأوجـاعِ .

عَـلَّمَـهُمْ بعضَ ذلك أبوهم يـوم نزل إلى الأرض ونزلت حوّاءُ فراح يبحثُ نهارا ويَسْــتَجِمُّ ليـلا . وظلت سـاعيــةً بـالليل و النهـارِ حتى إذا

تصادفا على الجبل أمسكتْ حيث كانت . وجرى مهرولا . فَأخبر صادقا .

وقالت : منذ السّماء لم أبرح موطئي .

وما نَسيَهُ الأبُ أكْمَلَهُ الأبناء . فتفننّوا في الطاعةِ ومهانة السؤال . وكلّما أمْعَنَ الواحدُ منهم ظَنَّ نفسَه الفتى وهو الطفلُ لا يَبرح أعتابَ المَرَاضِعِ .

أفّ لرجالٍ كأشباه الرّجالِ .

وَسُحْقًا للأطفالِ يجودونَ بغيرِ ما يَطْلُبُ الطالبُ. وَهُمْ على الوهمِ أنْ قد جادوا بما يَطلب الطالبُ.

وتَبًّا لصبيةٍ يَبخلون بأيَسرِ ما وُهِبُوا وهو الكنزُ المطلوبُ و المُبْتَغَى الموعودُ.

فكَتب كبيرُ الملائك على بعض ألواحِهِ :

لو كانت الأنثى ذَكَرًا و الذكر هو الأنثى لاشتكتْ منه إليه أكثر مما يشتكي اليومَ منها إلينا .

خُلِقَ الإنسانُ ما أكْفَرَهُ.

ليته اكتفَى بما خَلَقَ اللهُ ولم يَستحدثْ لفظًا .

فتنةُ هذا من فتنةِ تلك .

دَلاَلَــةٌ

يالغـتي . ياشـاعرة .

سمعتُ فيما يَسمع النائمُ هـاتفا جاء يُـخْبرني أنكِ يـوما ضحكتِ . وارتفع منكِ الصوتُ . وأنا غائب . فلما رأيتُـكِ وعرفتِ ماجاءني أرسلتِ أنصافَ الجُـفونِ . وتوسدتِ ذراعي . وطلتِ الأناملَ . فراحتْ تهدهدُ . ومـرت على الـوجنـة . فـاعتلتْهـا حُمرةٌ لُم أر في حيـاتي لـونها . وأطبقتِ النـواظـرَ . وهمّتْ بفمي منكِ الشفـاهُ . فأبطأتُ بـــكِ . حتى فَـــزِعْتِ . وجَلَـوْتِ الأبصـارَ . مُــحمَّرَةً . تتبلّل . فـأرسلتُ فمي . فطلبتِ ظـلامَ الصّمتِ . فأعطيتُـكِ نورا . وأشفقتُ عليكِ .

فناديـتِ :

ظمأى إلى لَـفْظكَ أُنْـشدُهُ . ظمأى إلى نخلكَ أقطـفُـهُ . الحرفُ نَبضٌ و الــمِــدَادُ على الصَّـــدَى . و النفسُ حَـرَّى . و البـوادي . ولـواهفي . كـؤوسُ المفـــازاتِ تَـــقَاطَرُ كـــالنَّـدَى . ولســتُ أدري . هل في اللفظِ مَـصْـرَعُنَا . أمِ القلوبُ على الأوتـار ترتجفُ . أم السرّايا . أم الأوجاع على الأفواه تبتسم . مفَـاتن اللفظِ تهادت . ويسترقُ المنادي . ويعيـد منشدا .

إلى اللفظ الرقيق أنـا الظمآنُ أقرأهُ إلى الحرف الجميلِ أنا الفنـان أصبغُهُ. إلى
الـوجـه الصَّـبُوحِ. إلى النورِ المضيء . أنـا اللّهفـانُ. لهفي على الأشعـار
أغْـزلُـهَـا . وعلى الضفائر . تَـمرّ يَدي. تهدهدها . إلى سَعَفِ النخيلِ.
أليـافٌ مُذهَّـبَـةٌ. خيـوطٌ تترامى . بأصبـاغ الحروف . إلى الكلمات.
بمسك نَـدَاكِ. أملـؤُهـا. إلى خفقـات القلب. أسمعُهـا . إلى نَبَـضَات
اللَّحظ. وهـو يرتعش . إلى الوَجَفَـات. أرْقُـبُهَا . لهفي على لغتـي . حبّاً
يعانق الألفـاظَ . مُذْ نَـزَغَتْ. نجمةُ الأعراب فـاتنةٌ . رَبَابُـهَا الشعرُ.
وهي نائيـةٌ. فمتى الألفاظ تـزدهرُ. ومتى الأمصـارُ تقترب. وتزولُ عن
لغتي الشكوكُ. وينطلق اللسـانُ مُجَـدَّداً. فَتَقْـتَـرِبُ الأمصارُ. وتُلْقَى
على الأبحارِ. جسـورٌ ذارعاتٌ. تَـلُـفُّ الـمَخاَصرَ. قـدوداً مائسـاتْ.
ويلينُ لك الطَيفُ العنيـدُ. و الشعـرُ أكبرُ. كم في اللفظ من عَجَبٍ. ملْءَ
القلوبِ. كـوحدةِ الأوطـان في وطنٍ. ياوحـدتي . ياوطنّـا. يالغتي . لا
انشعـرُ منك يُرضينـي . ولا الإيقاعُ بعيـداً عنك يَـرْوينـي . ولا الكـونُ
يَـصْفُو إلا متـى الألفاظُ تَـتَّحدُ. وينبـثـقُ اللفظُ الكبيرُ. فمتـى الأجراحُ
تندملُ . ومتى الأطيافُ ترتحـمُ . فيؤوبُ لي رُشْدي الذي. على صَفحَات
اللفظِ ينتشـرُ. وبين ضفَـاف النخلِ . يـزدهـرُ. وتـؤوبُ لي لغتي التي .
كألفِ سَنَى في ربيـعِ عُـمْرِيَ تـأْتَـلِـقُ .

تَـرْتِيــلٌ

إليكَ أيا سيـّدي .

إليكَ أيا ناطقـي . يا متكلّمي .

أنا اللغةُ . إني أنا العذراءُ وإن صُحبَتْ . مازلـتُ بجوهري المكنونِ هازئةً بـالشعراءِ. بالحكماءِ. بسخـائهم يُسيلُونَ من الأمهـارِ أوديةً . ومن الأشعـارِ أفئدةً. يَـجْرُونَ . وهم لاهـثونَ . وراءَ المحارِ و الأصـداف. حتى إذا مافَـتَحُوا . بابَ القلاعِ وابتَهجـوا . بالنّصرِ . بـالكسبِ . باللّـذة العَجْلَى. عادوا إلى نَشـوة اللفظ . على الأكتاف أرديـةٌ . من لُـجَـيْنٍ ومن ذَهَبٍ . والـوهمُ قَـاتلُهُمْ . فـازوا بـتلْكُمُ الأُنثَـى . وقـد كَسَـبُوا. كأسَ المواسمِ . والصّدورُ تُوَشّحُهَـا . دوائرُ الأذهابِ . ومافَطنُوا . ومـاعَرَفُوا . مفـاتحُ القلبِ . في غير ما قَصَـدُوا . مفاتحُ القلبِ . والألبـابِ . سيّدُهـا . أميرُ اللفظِ . فارسُ الأحلامِ . صانعُ العشـقِ . نَاحتُ الأمثال . إلى البيانِ . وفتنة الكلمات . كلُّ العَذَارَى . والطائرات . والفراشات . تَـنْجَذِبُ. حتى تـذوبَ. بضـوء النـورِ . بنـارِ الوجـدِ. وتُعْلنُهَـا . وتقـولها . على طـولِ الـمَدَى . إليكَ يا مَـلكِي . إليكَ أيـا سيّـدي . إليكَ. أنا العـذراءُ . إليكَ

دمي . فــارتشفْ على قَدَحٍ . واسقنــي من دمــي . فـلا النــارُ وأنتَ مني بحـارقـة . ولا الأنـوار في غيرِ وَجـدكَ سـاطعـةٌ . فـالنـورُ أنتَ . و النـارُ وجدُكَ . و اللهيبُ . لهيبُ لفظكَ . وأنا فيكَ فانيةٌ . فلا تَـرْحَمْ . عليكَ بي . عليكَ بي . فذاتُ الأشجانِ تأوَّهَتْ . فَشكَـتْهَا الـزَّفَرَاتُ . مُرْهَفٌ قَـلْبـيَ و الأوجـاعُ تلتهبُ . و الصــوتُ مُنْخَنـقٌ وتلكمُ الأنفاسُ . ويجثــــمُ الخَوفُ . داعيًا متبتّـلاً . ويلـوحُ في الأفُـقِ الــمَرَامُ . الأزهـار تَلْمَسُني . وأشجـارُ الـربيعِ . والصـدرُ مُنتــزَعٌ . والطّـائرُ الخفَّـاقَ . أوّاهُ يَشـدُّنِي . جَنـاحَـانِ في كَبِـدي . و السماءُ . و الغــربُ . و الشَّــفَقُ اللّمّاعُ . وبحـار الموجِ . وتهــاليــل الصّبـَا . و الماءُ مُفتــتنٌ . وتُشرقُ الشمسُ . هــاتـوا الفَـنَاءْ . هــاتوا المغاربَ . ولْـيَسْكُتِ الصوتُ . ليمتـدَّ الـهَوَى . والرَّجعُ قادمٌ . وفي الليلة الظلماء . يَصْمُدُ الثائـرُ . ويثوبُ الصابرونَ . والتائهونَ . و العـائدونَ بـرَجعِ الصَّدَى . و الــمُقْسِمُونَ . تـالله لراجعـونَ . وليلـةَ الـرحيلِ . دموعٌ ذارفـاتٌ . و الكُحلُ مغتسلٌ . وأوديـةُ السَّرابِ . تَقـرأُ الكفَّ . قلـوبٌ وقلـوبْ . ستائرُ الـرّوضِ . وألـوانُ العطـورِ . أعناقُهـا الجيـدُ . والروابط تلتـوي . وتزهـو بها الأشواقُ . و الأيـادي الواثقـاتُ . تُغـازلُ الثــوبَ . والمرآةُ بـاسمـةٌ . وتَــخْجَلُ العينُ . ويمتـدّ الحديثُ . والخناجر واجفاتٌ . وفي كلّ صباحٍ . وثـاقٌ جديدٌ . وروابط الأعناق قيدٌ محبَّبٌ . وتحلو الملابسُ . و النواظرُ سائلاتْ . خفّفِ الوطءَ . أفلا تُغَنّي .

ويحتفلُ الجمعُ . وَيَطْلُعُ البَدْرُ . ويصيحُ بِالْـمَـلإَ الوَدُودُ. ما بـالنا نَـقطع الأيدي . فيوسفُ هاهنا . وزُلَيخاءُ اليَمَن . على العرش مالكةٌ . والصرّحُ الممرَّدُ. و المليكُ الشامخُ . لُـجَّةٌ من قـوارير . ويَدخل التاجُ. ويأتي على سَبَإ . يـوسفُ و الأميرْ. وتأتي الهُوَيْـنَا . وتَـحْمَدُ العَرشَ. داعـيـةً. أفٍّ لهـمْ . فيوسفُ أنتَ. وأنت السُّـليمانْ.

لَـهْجَـةٌ

أيتهـا الأنثى . مـاأنت إلا لهجـةٌ . صَـه . لك عنـدي صـورةٌ .
لاتتحـدثي . أخشى عليهـا . أنْ تتـدحـرج شُـرُفَاتُـهَا . فـاسْكُتِي .
سَتَنْزَفِينَ دَمًا . سَتَشْقَيْنَ عذابًا . سَتَسْألِينَ المرآة كلَّ صباحٍ . أكلامي .
كان نزوةً . أم كانت لهجتي . أم مَسكَنِي . أنا التائهـهْ . عرفتُ الأحوالْ .
كلَّ الأحوالْ . في مَطْلَعِ الكونِ . انفجـارُهُ الأكبرْ . في بدء الخليقة . كَلمَهْ .
وآدمُ كَلمَـهْ . وحـوّاءُ . و الشعـرُ . كلمـهْ . وبـدايتي . كـانت . كلمـهْ .
فعشقتُ الكلمـهْ . على جـدار الصّمت . كَسَـرْتُ قلمي . بين الهواتف .
ضاع صـوتي . ماخلتُ أنيّ قـد أتوبُ . مُدْمنًـا كنتُ . فاقـدًا حسَّ الإباءْ .
فتعجّلتُ الغـوايـةَ . واستَطبتُ من الهوَى . ونـاديتُ بـالأحضـان . أيتهـا
الدواهي . إني لَـأنتحلُ القصائدَ . مستلذّا بدمعها . كاظمـًا لغيظ الشعرِ .
ألْوِي اللّهاةَ . وأغَـصُّ . كمنتحرٍ بسيـوف اللفظ . مُرَاوحًا بين الدعاءْ .
لَزِجًا . مُـفَاخِراً . مكابرًا . طَلَبُ الشهادة . ليس يَعْني . أنْ نموتَ . طلبُ
الشهادة . أن نَعيشَ . وأن نَـرَى جنينَ الهوى . تفتكُّـهُ الأبـدي . ويُودَعُ .
سَلَّـةَ التاريخِ . مُهملاً . و الـمَقَابِـرَ .

ألا فانْـضَــرِمي أيتهـا النارُ. ألا فَالْـتَهِــبي . مع الفجـرِ . وعنـد الغَسَقِ . وانبلاجِ النـور . والخيطُ الرقيـقُ . ساطــعا يتسلّلُ . و القُـرص الأحمــرُ. والكوكبُ الهــادي . و الأفلاك هـائمـةٌ . ويَـخرج السـاعي . حريصـا . مؤذّنا . قَطَرَاتُ النَّـدَى . تُـبَـلّلُــهُ . وليس يدري . متى يتصبَّبُ الطَّلَـلُ . أو يترامى الـرَّذاذُ. الحقلُ عائمٌ . و البـاسقاتُ مزارعُ ومفاتنُ . سرابيلُها الخُـضْــرُ . فوّاحـةٌ بشَذَى اللَّواقِحِ . و النخلـةُ الحوّاءُ. عطرُها . يأتي السَّبايا . فَـيُـنْـشِـدْنَـهُ . وتمضـي بُرهـةُ الفجرِ . ويعلو من الأشعة . همسٌ كهمسةِ الأقراص . وهي واجمةٌ . تَـتَحَفَّزُ . تـدعو إلى الظلِّ الوَريف أناملَ الفيضِ . مَسْلاَةٌ كفراديسِ الشَّـجَى . ويأتي صباحُ الفجرِ . ويَسْكُنُ الكونُ . و البـدرُ يَنحجبُ . وتحتفل الأفلاكُ . و الخلُّ بخـلّــه . وتَصْدَحُ المآذنُ . بصوتِ قَراحٍ . ألاَ أيتها الشمـسُ . انكَسِفـي . ويَـنْسَدلَ الظلامُ . وترتعش القلوبُ . معصوفةً . منها الرُّضابُ . يتصبّبُ . و الأيكُ محفوفٌ . بزَهْرِ الجنــان . وردًا عـبيقا . تائـها في الـروض يتلـوهُ النَّدَى . واللَّحْنُ . كَشفَاه الصوتِ غامزةً . يَعْـلُو . ويَـخْفُتُ . مُنشدًا . ومردّدًا . أوّاهُ يازَمنُ . قفْ هاهنا . عليك بنا .

لو تَسْكُنُ الأفلاكُ سَاعَـتَـنَا . ويـؤوبُ من ساحر الألوان . طيفٌ . خذ بيدي . فالأناملُ داعيةٌ . يأتي الرحيقَ دبيـبُها . ويَنْبلجُ السعيرُ . كألسنة اللُّـهَابِ . مالي أراكَ مسارعًا . فالعُشْبُ أخضرُ . و الرُّواءُ مكابرٌ . أنساغهُ

البِكْرُ. عيونهُا. تفيض من غَسَقِ الفـؤاد. جداول اللفظ. كظـلال عرشٍ
عنـد الأصيل. عنـد الفصيحِ. عليكَ بي. تبــرًا فَتبْــرًا. هاتـوا البرايـا.
كالمفازات التي. بها أمَلي. بها لَـهَفي. لا تُوصدُوا البابَ. ولا الجداولُ
ترتوي. إلاّ مَـتَى. تُصيبُ الوجدَ. و الريحانَ. ونَرْجَسِي. فُـكَّ العقالُ.
وأُطْــبِقَت الجفـونُ. وتحرَّكَ اللفظُ. لـو نطق الطيــرُ بـه. لأمْطـرَ القلبَ
بإعجازه. بــإيثاره. بلحنٍ كجوَّاد الــمرَاطب و النُّهَى. فيكَ الـرحيلُ.
وصحرءُ أرضي. هضـابهُا. وتلالُـها. مُـحْمَـرَةٌ. أحبَبْتُهَا. منذُ فجرٍ
تائهٍ بين الحنــايا. فضاؤهـا الرَّحبُ. يلوذُ بمَعْــبَدي. بالغابـة الوَعْـثَاء.
بـالعطرِ العنيف. كسهـام نبلٍ. قوسُهـا. فاسكُني. فـالغيثُ آت. ومن
قَبْــلنَا. عَطَشُ الظّمآن سُـلاَفُنـاَ. فَلْـتَظْمَئِي. أوَجْــدٌ هـائمٌ. أم جنـونُ
الرّاشدينَ. القادرينَ. الفاتحينَ أقفالَ السرائرِ. و القائلينَ. إنَّ الفتى. أنَّـى
أتَــى. وارتمت الأطـرافُ. وعلى الرُّبى. يَنتكس الـمُكابرُ. غُــفرَانَكَ
الـذّنبَ الــذي قـد تَأبَّى فَسَجَـا. وأقسمتُ عليكَ. بلهجتي. بــالـذي
أسْــعَرَنــي. خُـذْنــي إليـه. على الـمينَاء راسيَــةٌ. شراعُك بيـدي.
رايـاتُنَا الحمـراءُ. بيضٌ. على شـاطىء الـزهو ترسُـو بنـا. مُعَسْكَرُهَـا
الجنـونُ. وصـوتٌ ساحـرٌ. طُـوبَى لِــمَن بِــناركَ يَـصطلِــي. يـا مَن
يَـصطلِـي. وعلى جِـمَـارِكَ يَلتوي. وفي نهرِكَ الفـوَّارِ. أبـدًا لا يرتوي.

شَــذْوٌ

قُبيلَ الفجرِ. تَيقّظَ حسيّ. فـأفقتُ ثَملاً. وتوهمّتُ نـوما. سـافرتُ فيـه. لا يَـرُدّني وقتٌ يمضي . ولا أرضٌ حَـزَنٌ. حتى إذا. مـا بلغتُ النُّـهَى. خلـوتُ إلى الحبيبِ . مهاضبًا. أجُسُّ إليه الطـريقَ. بين المعاطف مترفّقًـا. أدنو. ثُــمَّ أتوقّـفُ. فيأخـذني التَّـوْقُ. ثُـمَّ. يَصُــدُّنِي. هَفيفُ خَوْفٍ. كـالرّعشة نَخْشَى بها . أن ينقضيَ الـذي بنا. فأعـاودُ. فإذا الذي بِـنَا. بعضُ ما بِنَـا. تَـمرّ أنَامِلـي على الصّحائـف. فيـزهو اللفظُ متلقّفًا. وتنفتحُ المعاني. مُعَانــقَـةً . كاللّغو البعيـد آذاه الحنينُ. إلى وطنٍ .فَحَـلَّ به. يُـقبّلِ أرضَه. ويُمَرّغُ الوجهَ على الكلمات. يَستنشق عبيرَ الـمَـرَافىء. يهفـو. كصبيٍّ إلى الــمَحاضن. وسمعتُ اللفظَ يشدو. فـانسـدلتْ على الـوجنتينِ. مَعـازفُ الشكـوى. وأحسستُ أنّ الكـلام يتظلّم. يـريـد أن يُــفاتِــح . فلا يُــفصِح. ويَــئِــنُّ أنيــنًا يَعَــضُّ فـؤادي . فأردّدُ لــه الصَّدَى. أباكيهِ بالدمع السّخيِ. ثم أضْــغَطُـهُ بين الحناجر. فَيُسْلم أنَّةً. تُنادي بـلا مَلَل . فأحتضنُ الألفاظَ . كأني مُـلاَثمٌ. ومُقَـبّلٌ. ثم أعتصرُ اللّفَـافَ . هِفًّـا كأنـه المعنى. أبْخِرَةُ الـرُّوحِ. تُصَـاعِدُ الأنفـاسَ. وأتركـه

يفيضُ خـوفـا . يكـاد يَغْضَبُ . حتى إذا ظَـنَّ الكلامُ . أنّـي مُعـذّبُهُ .
تسلّقتُ الهضابَ . في يَدي الألفاظُ . وأمسكتُ تـلاَ لَـهَا . عنيفًا كأنيّ ظالمُ .
أجُسُّ . ثم أمسكُ قابضا . ثم أضْـغَطُ . لا يؤوب لي حُلْمٌ . ولا يراودني
الإشْفاقُ . أثبّتُ الحروفَ على الصحـائف . بين السطور . أوشك أن أقتلعَ
ما بَـدَا . ومـاخَفِيَ . وأنا بين زفرةٍ و أنينٍ . و النارُ تَـوَقّدتْ . من طوق .
وخـلا القلبُ . إلا من لهيبِ شــوقٍ . كـالمعنى يَـتَخَلّقُ . أسمع أزيـزَهُ .
يعلو . ويعلو . ويَلهَفُ . صائتا و مغرّدًا . رحماكَ إغاثتي . أدركْني . مَدَدًا .
مـددا . لا تُشفقْ . ضفافي مـوطنُكَ . شفاهي عبيرُكَ . مكـامني أسرارُكَ .
وحين توسدتُ اللّوْحَ . وَ أسْلمتُ إلى اليراعِ . ذراعـي . وفاض اللهيبُ .
وتوجّس الكلامُ نـقمتي . صاح بنفسه . يـَجْلـدُهَا :

تَبّـا لساعـة كَـفَرتُ فيها بنعمتـكَ .

سُحقًا لغفلةٍ زاغت برُشْدي فضيَّعتْ حبّي .

رَجْـمًا ليـومٍ خلتُ فيـه أن أكــون غنــيّا . فَطلبتُ إليكَ هجـراني .

وكابرتُـكَ فيه . ثم أصْـرَرْتُ على الفُـرقـة أعلّمُكَ فيها الدّرسَ .

لا حملتْ بمثلك أُمّ أيُّــها الماردُ الـذي هَـمَسَ في كبريــائي همسًـا

انتفَخَتْ به أوداجي خَـوَاءً فاختلط الـدَّمُ النقيُّ بـوعثاء الضَّلاَلـة .

أيها الإلفُ الحبيبُ . ما أنتَ إلا مَن عرفتُ . ما أنتَ إلا أنتَ .

وَسَجَـا الرفيقُ . فتلَمّحتُ في العين دمعـةً . كَشَهْدَةِ العسلِ . خلِتُهَـا

نذيرَ مَنـاحة. فارتشفتُـها. فكانت قَـطَرَاتِ الجَـوَى. تُسَاقِي فَرَحًا. أبَـدَ الدهرِ. كدمعةِ الأنثى ليلةَ زُفَّـتْ إلى الحبيبِ لم تَعرفْ قبلَـهُ حبيبـًا ولا تخالُ بعــدَهُ.

ثم سكَنَ الفجــرُ. فَنمْتُ. وسمعتُ الكلماتِ يُــرتِـلْنَ تسـابيحَ الفِداء. وسمعتُ إحـداهـنَّ تـنادي من بعيدٍ:

كنتَ حبيبـًا يـومَ عرفـتكَ.

وكنتَ حبـيـبًا يومَ استشاطَ غَضَـبُكَ.

وكنتَ ألفَ حبيبٍ يومَ لم تَـهْجُـرْ ولم تَـنْـقَـمْ.

فَمَنْ لي بالسماء تُـعينني على نفسي كَيْ أخْلص لنفسي.

ومن لي بأحمال الأرض تُــعينني على رضـاكَ منــذ بُحتُ لك: إني خالصـةٌ لكَ من دون الكلمات فَصَــدَّقْتَـنــي وكدتُ بعــدَها أن أكْـذِبَ نفسي.

فعهَـلاً قبلتَ مَـتَـابتي.

هـي خـالصـة خـالصـة.

وأنـا الخـالـصة الخالصة.

جَهْــرٌ

الواحةُ جِنـانٌ تسقيهـا الميـاهُ . و الجزيـرةُ ديــرٌ كصلاة الآمنيـن .

و الـربَّـع روضةٌ ترتجـفُ فيها قلوبُ الخائفين .

إذا قَطعتَ زهرةً فَـتَـذكَّـرْ مَـنْ سَقَـاهَا . وإذا وقفتَ على الأهرامِ فلا تـَنْسَ مَنْ ماتوا وهم يجُـرُّونَ الأحجـار .

استَلَّ السِّنجابُ قطعةً وانـزوى بها في المغارة خائفـا ثم خرج يمشي واستوى على الغُصْنِ وتَـمطَّطَ فَرْوُهُ فكأنّـه لم يعرف الجوعَ يوما .

الفتنةُ أن تُلْقِيَ بالأجسادِ في التّنّور تَصطلي و الافتتانُ أن تَضعَ اليدَ من كفّها على الجمرِ فتكتوي فلا تَـصْـرُخُ ولا تستغيثُ .

كان شعب من الشعوب مُغْـرَمًا بالأمــثال ينتَهـج فيها نهـج الصُّـوَرِ و التمثيلِ وكانوا يقولون : الرَّجُلُ كالـرأس و الـمرأةُ رَقَـبَـتُـهُ يَـخال أنه قد تَـربَّــعَ عليها جالسا وما يـدري أنها هي التي تُدِيرُهُ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشّمال .

إنْ يكُن الأبُ نـاظِما والأمّ لـلأزجـال قـائلـةً فـلا تلومَــنَّ البنتَ إن فاضت بالشعرِ أقوالُـهـا .

الهاتفُ رسالةٌ و النظرةُ خطابٌ و الصّمتُ إبلاغٌ و الرحلةُ كتابٌ وقضاءُ الليلِ سفرٌ من الأسفار.

لِشركاتِ الكمبيوتر شاراتٌ . من كُبْرَياتِهَا واحدة اختارت صورةَ تُفاحةٍ مقضُومة. قال قائل: هذا من الفن الرمزيّ. وقال آخرُ: هو من الرسم الجديد . وقال ثالث : هو مما بعدَ الحداثة . وقلتُ : لو لم تُقْضَمِ التُّفّاحةُ ما أُكلَتْ ولو لم تُؤكلِ التفاحةُ ما نَزَلَ آدمُ الأرضَ ولو لم يَنزلْ ما كانت حياةٌ .

السَّحابُ قد غَشيَ السماءَ . وَأذنَ المُزْنُ بماءٍ هاطلٍ . فَجَاءَ رعدٌ . وجاء برق . وعَصَفَتِ الريحُ بما عَصَفت . وانتظرنا الغيثَ . غيثَ السماء . إيّاكَ أن تحوّلَ أمل اليوم إلى اليأس من الغد وإذا شَقيتَ بها نفسُك فيه فاسعَدْ بما يَدُكَ عليه .

لخطوط الطَّيَرانِ شاراتٌ . لهذه حمامةٌ . رَقَّتْ . وانسلَّتْ في الفضاء مجنّحةً . كأنما تطير . ولتلك غزالةٌ . تمدّدتْ . لكأنها . في عَدْوها . حمامة فرّت من أيكها . وللأخرى صورةُ طائر . من الجوارح . عَيْنُ حَدَأَةٍ وأجنحةُ العُقَابِ . مَخَالبُ النّسرِ و أزيزُ الصُّقور .

الكونُ كائناتٌ . جمادٌ ونباتٌ وأحياءٌ . وصندوق البريد من خشبٍ ومعادن . مفتاحُه وكذا جدرانُهُ . جَمَاداتٌ . و النّخلةُ نباتٌ . إذا ماتت . وجفّ رُواؤُها . وقُطعت هامتُها . فجذعُها الباقي . وقدأيْبَسَ . جمادٌ .

ألفَ الجذعُ زائــــرَهُ . وعنـــد الهجــران. أنَّ الجذعُ واشتكــى . حيٌّ بين الأحياء. تَـمَّت الدائرةُ . وطُـويَ السّجـلُّ .

سيّدةٌ أمينـةٌ . جاءت إلىَ البنك . وفي يدهـا صكٌّ . تريـد صرفَه . فـاستلمتْ . ثم عادت . فقـالت . يـاسيّدي . ماأعطيتَــني . يفيض على القيمة. فهاكَ الفـائضَ . رَدَّ عليها الخازن نقودها . وزمجرَغـاضبًا : «أمينُ الخزانة عنـدنا لا يخطىءُ». فحارت برهــةً ثم أفاقت . آثَـرَ الإبـاءَ فأضاعَ عَـفَـافـي .

الـبُـرْقُـعُ لجــــدّتي . والخـمــارُ أمــومـتي . و القِناعُ لطـفلـتـي . و الحجاب لسيّدتي . و الهَودجُ هودجي .

أخذتُ المقـودَ. وسرت بسيّارتي . على الطـريق السّـيّار . ثم أضأتُ النور . يمنةً . وإذا بي أرْكَـنُ .

لقد ركنتُ على الشّـمال بمركبي .

النفس عـودٌ . و الظنون نيرانٌ . يَـدبُّ لهيبُـها . استقـام العودُ أم لم يستقم . ولولا قيظ الشك . لما عُرِفَ برد اليقين .

في يـدي اليمنى وردةٌ . وعلى شفتي السفلى تَــــمرةٌ . وفي مســامعي لحــنٌ نجـيّ . قـد عـانق شعرا رقيقـا . والكفّ تـلامس بأنـاملها . مسّـا شجيّـا . ففاح أريجٌ . وعـاودني عَــبَقٌ . وساورَتْـني مَبَاخــرُ الشرق . في قلبهـا عــود . وعلى المشـارف جمرةٌ . الخوفُ مـن الحبّ . كالخــوف على

الحبيب . كـارتعـاشـة البَــرْدِ الصقيعِ . كـالحمّى في شـدّة القيظِ . أحببتُ خَــوْفَكَ . أحببتُ جمرَكَ . عشقتُ قيظ حمِــاكَ . مثلَ ليلٍ هــادىء . مثل الظّلمـة في السكــون . يَــحَارُ القلبُ . يطــول السُّهــادُ . لـيس القـادم كالـمُرْتَـحِلِ . ولا يومي يُشْبِـهُ يوما من أيام أمسي .

إذا زُلْـزلَ العرشُ . واهتـزّت الأرضُ . بجبَالِــهَا . وهوى البنِـاءُ . فَـقِفْ . صامدا . وقلْ . في صَمْتِ . وفي جَلَدِ . إنّـي هنـا .

هَمْسٌ

هَبَّ نسيمٌ . وأنـا على سفح الجبلِ . أطُوف بـالوادي . وأهل الـرَّبع نيامٌ . فتعطّرتُ به . وفتحتُ جوارحي . طالبا . هل من مزيدِ . وغَمَرَتْني رائحةٌ . حَرّكتْ سواكني . فنقلَتْني مما كنتُ فيه . وأخذتْ تَـجرُّني . حتى ظننتُ أنّني . أُحْـيِي زمنا مضى . وأمعنتُ في الرّحلة . متخطّيًا لحواجزي . متسـاميًا . كأنّ الجسم قـد خَفَّ منّي . وإذا أنـا . كَحُلْمٍ شاردٍ . أرْفُـلُ في حُلَلٍ . فعرفتُ أنيّ صادق .

طـائرٌ يَـرُوقُـهُ البحـرُ . وطـائرٌ يَـحْسُدُالسَّمكَـةَ . وهي تَسبحُ . وتقولُ . مَنْ لِـي بمجدٍ . أو بسحرٍ . أو بِـقَدَرٍ . يأخذني . من الماءِ . إلى عنـانِ السّماء . فيَـهْوِي الطـائرُ . بَـرْقًا صـاعقًـا . ومن أعماقِ البحـرِ . يأخذها . ويُـحلّقُ عاليًا . ومُفاخرا . قَـنْـصًا شهيّـا .

خَلْوتي . كِـدتُ أخافُكَ . خلـوتي . لولا أنني . أحببـتُ ذاتي . منذ أحببتُ . خلوتي . منـذ أسرَّتْ لي خلوتي . منذ قـالت لي في عُزلةٍ . للنَّـعيم لـذّةٌ . وفي الحِـرمَان لذّاتٌ .

أرتشف من الفنجان جُرعةً . جُرعةَ القهوةِ . حيثُ لا سُكَّـرٌ . هكذا

أتعـمَّـــدُ. أتقصَّـدُ. كلُّ الـمرارةِ في بـدايتها. ثم تنقشعُ. وقـد أوصَوْنـي بترك السُّكَّــرِ. ولستُ معتـلاّ ولكنْ روّضـوني. وقـالـوا. هـو أفْضَلُ. وقـالــوا. ستغـدو القهـوةُ. حلـوةً. بـلا سُكّــرٍ. حينَ تتعـــوَّدُ. بها تَأنَــسُ. وتُؤَالِفُ. تَـرْكَ السّكّرِ. ففعلتُ. وهـا هي ذي. قهـوتي. بـلا سكّرٍ.

قـالـوا. ما أسرعَ أن تحبَّ إمـرأةٌ. قـال. إذن. مـا أسرعَ أن تَنسَى النّساءُ. قـالوا. مـا أعجلَ أن يتحوّلَ رجلٌ. قـال. ما أهـونَ أن يتهافت الرّجال. فَــتَحَاكموا. قالَ القيّمُ. إذا عَـزَّ عند المرأة حبُّهـا. أمْسَــكَتْ. حتّى يطول عصامها. فإنْ هي أسْلَمَتْ. هَـانَ سلامها. يخالونها تتهاوى. وهي لا تتهاوى. قال. دكّـا لرجلٍ حديد. ليت أنَّـهُ. من ضلعها.

قالت. هذا يناديني. وذاك يصافِحُ. وثالثٌ من أعالي الشرُفـاتِ. يُطِـلُّ. مُــحَابيًا. وأخٌ له. على الممرِّ الأسفلِ. يشيرُ مُغَـازلا. يراودني. وأنا كما كنتُ أنا. وأنا هنا. أدعو وأبتهـلُ.

أفتح كتابا. أستلّ ورقةً. أقْضِمُ أطراف القلم. في انفعال. في توتّر. ثم أبحث عن مُعْجَـمٍ. عن قـامـوسٍ. ولســان العَـرَب. وقــد هَـدَأت الخواطـر. فأقـرأ متنًـا. وشرحًـا. وحـاشيـةً. ثم أقتفي صلَـةً. تتلـوهـا الصّـلاتُ. وأعـودُ إلى المقعـد. إلى الأريكـة. والقلبُ فَـوْضَى. و النّفس سائحةٌ. وأسألُ. مَن أنَـا. ثم أستدركُ. ولِـمَ السّؤالُ.

على المكتب. نظرتُ إلى صورتي. وفي المرآة. تأمّلتُ صورتي. وعلى الهُويّة. وجواز السَّفَر. وفي المحافظ. رُحْتُ أقلّبُ. أقرُّ بهذه. و أستنكرُ هذه. ثم جمعتُها. وأعدتُ على المنضدة توزيعَها. وترتيبَهَا. وقلتُ. لو أختارُ من بينها. أوْلَو أسوّي بينها. وانتبهتُ إلى السّاعة. في معصمي. فوجدتها تتحرّكُ. فلَمْلَمْتُ ما تَنَاثَرَ. وطويتُهُ. طيّا رفيقًا.

وكنت أحبُّ الموسيقى. كنت أعْشَقُ الألحانَ. و اليومَ أريد أن أغنّيَ. فلا صوتي يطاوعني. ولا الألحانُ ترتادني. فأعود إلى الأنغام أسْمَعُهَا. فيأبَى السّمعُ. وتتمرَّدُ. على إرادتي أذُنِي.

العشقُ. إذا سَمَا عاليًا. العشق. إذا علا مسرعا. وإذا حلّق زاهيا. وارتقى صُعُدًا. فأشفقوا عليه. وعَلّقُوا التمائم. وَاقْرَؤُوا لَهُ. سورةَ الإخلاصِ. وسورةَ الفَلَقِ.

من المكتب. خرجتُ إلى الصالون. ثم إلى الشُّرْفَة. دَخلتُ المطبخ. وأطْللتُ على الحديقة. ثم نَادَى المنادي. إلى البهو. ثم إلى غرفة في الطابق العلويّ. فامتلأتُ بالفضاء الرَّحْب. وانقبَضَتْ نفسي فجأة. فَالضّيقُ ضيقُهَا. والرَّحابةُ من إحساسها. وما الكون إلا مرآة. على صفحاتها. تنعكس صورةٌ. هي صورةٌ من نفوسنا.

في الغابة. في الجوّ. وعلى متن البحار. أحِسُّ بوحدتي. وبين أركان

المصحّة . حيث أسْتَشْـفِي . في الْـمَعْبَـدِ . وبين أركان الـمَحَابس . هي عُزلتي . كأنــه الهدوءُ. كأنه السّكونُ. لست بخـائفٍ. ولستُ بمُرتجفٍ. وسألتُ عزلتي . عن هُـويّتها . عن مَنْبَـتهَا . عن مَـرتعها الفسيحِ . أمِـنْ حَوْلِـي هِيَ . أم مِن جُودِ مَـنْ حولي. ومن حينٍ إلى حينٍ . في نفسي أراها . أحادثها. أكـادُ أحـبُّـها. سِـيَّانِ عندي اليومَ . الثَّـرَى و القَـمَرُ.

إشْمَامٌ

قالت لِـيَ اللغة : أنتَ العاشقُ الجديـدُ . لا أقولُ لكَ إلا ما قاله مِن قبلك ابن الحسن :

«اقعُدْ في ثُـقْبِ الإبرة ولا تَـبْـرَحْ ، وإذا دَخل الخيطُ في الإبـرة فلا تـمْـسكهُ، وإذا خرج فـلا تمُـدَّهُ، وافـرحْ فإني أحبُّ الفرحـانَ، وقُلْ لهم قَبَّلَنـي وَحْـدي ورَدَّكُـمْ كُلَّـكُمْ. فإذا جاؤوا معكَ قَبِّلْتُهـم وَرَدَدْتُـكَ ، وإذا تخَلَّـفُـوا عَـذَرْتُـهُـمْ ولُـمْـتُكَ، فرأيتُ الناس كُلُّـهم بَـرَاءٌ» .

قلتُ للّـغـة :

أيتهـا الضـادُ. مفتـاحُ قلبِـك بِـيَدي. وأزرارُ الفسـاتينِ. وسـدرَةُ الـمُنتهَى. بيدي . أنت. بيـدي. أسماؤُكِ التي قـد خطَّـهَـا القائلـونَ. أوصافُـك كما حـرّفها الـمُداعبونَ. بيدي. أوتـارُ قلبك. بالـنَّغَمِ الحائر. بيـدي . ريشَـةُ العَـزْف. وآلـةُ الـدَّبْـك. ومعْطَفُ العُـود. وتسـابيحُ القانـونِ. بأناملي . مَفَاتِحُ الآهـات . ولذائذُ الأنينِ . بأصـابعي. مَفَاتِنُ اللّفظ. لـو أمْسكْتُ. ماقـالوا بكِ شعرًا . ولـو تمنّعتُ. ماسُمِـعَ صوتٌ لشيطـانِ الخليلِ. إيقاعك بيـدي. وتفعيلاتُ الـوَزنِ. وأساريـرالضَّنَى.

أمواجُ البحـورِ. وصورةُ الفنِّ. وتمثـال الهَوَى. كلُّها في مقْبَضِــي. لـكِ الغاباتُ. فانسَـرِحي . لك الأعشابُ. فتـوسَّدي. لكَ ما شئت. لكَ ما أشاءُ. أقمتُ سجنًا. وشيَّـدتُ قبرا. ودَفَنْتُ بَنَاتك. لَـهَجَاتـك. دَفنتُ الحزنَ الذي . أحْبَبْتـه رَوَّضْته. أقسَمْت يومًا. بالوفاء لَـهُ. بالعُمْر. كُلِّ العُمْرِ. مافـاتَ منهُ. وما هو آتْ. بـالصَّبْرِ. بالجَوَى. سَفَّهتُ أحلامَك. وقَـهَرْتُـهُ . أنْـبَـتُّك زهرةً. وأيقظتـُك ريمًـا . ودفنتُـهُ. بأسمائك التي نَطقوا بها. وبأوصافــك التي غازلـوها. لأحفـرَنَّ مغارةً. بئـرًا سحيقًا. ولأدْفـنَـنَّ في غَيَابَاتـهـا . عقاربَ التّاريـخِ. وأشيـّدَنَّ مقبرةً . شاهـقةً. عملاقــةً. ولأرْسُمَـنَّ رُخَـامَـةً. ولأكـتُـبَنَّ. هـذه مـدفنـة الـزَّمنْ. فَـلْـتَمُتْ. يا أيُّـها التاريخُ . ولتعشْ. يا خالـدًا. يا سرمـديَّ الكَـونْ.

أيتُهـا الكلمـةْ . أرْهقــتـُكِ . صَـوَّرتُ حبّكِ. ومشـاعــرِي. يافتْـنــتِي. ما حيلتي. أنا الظالمُ. ماحيلتي. أنا الظـالم. ما حيلتي. وأنا الـوفيُّ . فلَن أخونَ طبـائعِي. ولن أغيــّرَ قبلتِي. سأظلُّ دومًا. رائحـا أو غاديــًا. طولَ البحَـار. وعَـرْضَ الـمَدَى. لك ظالـمــًا. سأظلُّ. وإذا الدنيا تخايَلتْ . فكَفَـتْـك مظالمي. وأوجبَـتْـني طاعـةً . فلتعرفـي . أنّـي أنا . قـد خَيَّبَ الآمـالَ في ظُلمه. وإذا ما الظّلـمُ صاح مخاصمــًا. وأتاكِ بَــعْدي . واشتكَى. متأوّهًا. بأنــيـنـــه .فَتَبـتَّـلـي . بـاسمِ الهَوَى. وترنَّـمي. باسم الجَوَى. وقُولـي. بِمِلْءِ جوانحي. بالأحلامِ. بالأرَقِ.

بالفاء بالجيمِ بالراء. بكلّ فجرٍ باسمٍ. بالفجرِ مُفرداً. بالفَرد مَجموعاً.
وبكلِّ رَنَّة هَاتِف. بالموعد. بالألواحِ. بالخَطّ الفاتنِ. بالسّحرِ
الحرامِ. قولي. ولا تَتَردَّدي. بُورِكْتَ لِي. يا ظالمِي. إني لِظُلْمكَ
قد أتَيتُ شفَيعةً. لا تَستَهِنْ بشفاعَتِي. بُورِكْتَ لي يا ظالمِي.

إدْغَـامٌ

في تجاعيدِ الوُجود الآتـِي. سيُضاجعُ التاريخُ لُغَـتِي. سَتَحْمِلُ. ثم تَـضَـعُ. سَـيكْـبُـرُ الوليدُ. ويَـنْحَرِفُ. فَـتُـنَاجِيـهِ.

أيهّا الشّعـرُ. ما أنتَ إلا ذَكَـرٌ. وكل الذّكـور سَوَاسِيَـهْ. أيها اللفظُ اللّعينُ. أوْهمتَـنِي. أنّكَ مُفْـرَدٌ. ألاَّ سواكَ يُـمَـاثلُكْ. فإذا أنا. كـالغرّةِ المخدوعة. آمَنتُ أنـكَ كاملٌ. قَدَّسْتُ لَـفظكْ. ولَـثَمت بالشَّفَةالحَرَّى. حُرُوفَـكْ. وعلى الأوزانِ. رَقَصتُ يـومِي وليلتِي. ورحتُ أمْـتَـصُّ رحيقَ الكلماتْ. وأقولْ. هو البعثُ الجديدْ. هو الفَنُّ. هو الخُلودْ. تمثالٌ من الإغريقِ. كآلـهةٍ. يَـعْجـزُ الفنُّ عن نَحْتِـهَـا. لها يَسجد التـّائهُ. لها. ولظُلمهـا. وتحت غـَـمَـامها. يَستظلُّ فـؤادٌ كَسِيحْ. وفي رحـابها. تَـحْتَـمِي. تِلْكُمُ الأُنْثَى التي. كانـت تَظُنُّ أن الرّجالْ. وكلَّ الرّجالْ. قد عـاشوا مـرّةً. ثم مات جميعُهُمْ. وما الـدنيا. في هـذه الأزمانِ. إلاّ. بأشباهِ الرّجـالْ. مَـلأى. فإذا أنا مخدوعةٌ. بالشعر. ومـا الشعرُ. ما هو إلاّ زائـغٌ. مـاكـان إلا مُزَيَّفـًا. دَوْسًـا لمنثـورٍ تَفَـرَّطَ عِقْـدُهُ. طَعْنًـا للجواهر صُنِّعَتْ. بمَعسولِ الهَوَى. أقسمتُ بـالشّعْرِ. كم كان أحْرَى بهِ.

ألاّ نَــزُوغَ أبصارُهُ. آلا يخونَ العهـدَ. عهــدَ وفائــنا . عهـدَ الأمانــيِ .
يـتَــقَاطَـرُ عِطْـرُهَا . نتساقى أريجَــها . نموتُ ونحيـا . بين نهرٍ وجدول .
تهادَتْ نفوسُنَــا . كَ يخَايُلِ فردوسِ. أبديَّـةَ الأزمانِ. خـالدةَ الهَـنَاءْ .
شرقيّـةَ الأنسامِ. صـوفيَّـةً . حتّى الجُنونْ. مجنـونـةٌ. كنتُ أنـا . مجنونـةٌ .
مازلتُ أنا . فَبِمَن أجَـنُّ أيا تُـرى . أبـالدّعروقد تهتّـك عـرْضُهُ. أم بالنّثرِ
و الحفـاءُ مَــجَازُهُ. يــا أيهّا القـومُ . هُبُّــوا مَعي . وتمَــرَّدُوا . يـا أقـدارَ
الكونِ . تَــبَدَّدُوا . يا أسماءَ الشعرِ . تَــفَرَّقُوا . فلستُ قـائلةً لكمْ. مـاكنتُ
أقـولُـهُ. ولكنّي . سأهمس هـمَسَةً. بها أهْـتكُ الأعـراضَ. سأقـولها .
سأبـوحُ بِـســرّهَا . سأقولُـها و اللســانُ مُـمَزَّقٌ . سأقــولُـهَا . والفـؤادُ
بِــدِمَائِـهِ يَـتقطّعُ . سأقولُــها. ولـلأقدارِ مَغفـرةٌ . سأقولُــها. ولستُ
براجعـةٍ . سأقولُـهَا. ولستُ من اللّواتـيِ. أنوحُ وأنـدَمُ. سأقولُـها. كلُّ
الرِجالِ سَوَاسـيـهْ. سأقولها. حتّى أنتَ يـا ولَـدِي .

نَـبْـرَةٌ

. . . وإذا القائلُ هو القائلُ:

« . . . أنتَ صاحبي . فإذا لم تجدني فـاطلُبني عنـدأشـدّهمْ عليَّ تمـرُّدًا . وإذا وَجَدْتَني فلا تَـعْصِه . وإن لم تجدني فاضربه بالسيف ولا تَقْـتُلْهُ فأطالبَكَ به وَخَلِّ بينـي وبينك . ولا تخلِّ بيني وبين الناس . وخاصمني . وتوكَّلْ لهم عليَّ . فإذا أعطيتُـك ما تريـد فاجعلْه قُـرْبانـًا للنار . وقف في ظلِّ فقيرٍ من الفقراء . فَسَلْهُ أن يَسْـألَـني . ولاَ تَـسْـألْـني أنتَ فَـأمْـنَعَ غَـيْـرَكَ بمسألـتـكَ فتكونَ ضِـدًّا لِـي وَأخـذُلَـكَ » .

فناديتُ لغتي . زفرةٌ جـاءت إلى القلب . زفرةٌ كـالسّـاحـرَهْ . أنينُها الحُلمُ . والذّاكرهْ . إيـه . يـاذاكرَهْ . وأنا القادرُ . لَـيْـلاً ونهارًا . أنا القادرُ . بسائطُ العُمْرِ في مَـفْـرَشي . و المكانُ القَصـيُّ يا أيها النـاسُ . ألا فقولوا . كما قال الذي قال . أنا العاشقُ . أنا الوَجدُ . أنا الزَّمَـنُ . أنا الرّوحُ متّحدًا . أنـا الحاضرُ . أنـا الـذي . على غير أهله كَـتَمُوهُ . حَـرَّمُـوهُ . أنـا العشق الـمُبَـاحْ . أنا الزّمنُ المبـاحْ . أنا الخالصُ من دون العبادْ . القلبُ تغـريدٌ ومِرْجَلُ . يشـدُو . عن شوقِه لا يَـرْحَلُ . وبسـائطُ الخضراءِ . في وجدِ هِ .

تَـهِيمُ وَتَرْفَـلُ. ونعيمُها. وضفائرُ زَهْوِهَـا . تَبْنِي البلابلُ أيْكَهَا. لتُقيمَ يـومًا. لتعـودَ دهـرًا. وكأنها عن ريـاضِ الوجـد لا تَـرْحَلُ. و الفجـرُ وَضَّـاءٌ. كأن شُعَاعَهُ. سَوَّاحـةٌ .تَـتَهَلَّـلُ. هَـلاَّ أبَـنْتَ القولَ. أمْ هَـلاَّ جَلَـوْتَـهُ . أيـا قلبُ. لا ظَمِئتْ. جـداولُ الأنهارِ حولَـكَ. ولا أنتَ. بخالص شَهْـدِهَا. حَتَّى الثُّمَالَـةِ. تَـتَصَبَّبُ . تنسـابُ مَـيَّاسًا. تتسلَّلُ. متهاديا عِشْـقًا فُـرَاتـا. ومغنـيَّا نشيدَ عودتنَا. فإلى مَـتَى. هاذي الرُّبوعُ . تتباعَـدُ. وإلى متى . هاذي القلوبُ. بـرضَاب شَـدْوِكَ تتقطَّـعُ. وشهوةُ الذكرى. لقلبٍ مُـقْفِـرٍ. والشموعُ. تُؤَاكِلُ الشُّهْبَ لُـعَابًا. ونارٌ تَـقذفُ الفتائـلَ حِـمَمًا . وتهَـلَّلَ النَّخلُ. وارفَ الظّلِّ. وسرُّ الكون جِـرْقَةٌ. تطوي حرقـةً. ويهتفُ الهاتفُ. لتدخلوا الأفُـقَ الـرّحبَ. مُخُضَّبينَ. غيرَ خـائفينَ. والفتـحُ القـريبُ. وكلّ شيء مُـرَتَّبٌ. مُنَـضَّدٌ. مُـوَقَّـعٌ تَـفْصيلاً. فإن أنا متُّ . فَـسُبَّنِـي. وإذا رحلتُ فنادنـي. تُعَانـقُ الرّوحُ صَلَيَّـهَـا. والطُّهْـرُ أورَقَ. والمياهُ جَـوَادبٌ. و النهـرُ أتُّـونٌ ومرْجَلُـهُ الـدَّمُ. وتـرتـوي النفسُ فـداءً. ومَـوجُ البراري . رمـالٌ كـالجواري. لـمـثلها. عَنَّت الـذّكرَى. وَدَاءُ الـوَجد نسْـيَانٌ يزولُ. أرَوّضُ العشقَ ألوانـا. وتَسْكُنُ النَّفْسُ. والقلبُ طائعُها. إني أنا الساكبُ. فافتَحْ لِـيَدي. ثغرَ الشَّـرابِ. واصبْرْ على جُرعَـةٍ. واكفُـرْ بالّذي سكَـنَكْ. وافْـزَعْ. وقلْ. بـاسم الكـواكبِ. دُجَـاهَـا اللّيلُ. ونـورٌ واجِفٌ صَمَـدُ.

إمَالَةٌ

أيتها الفصحى : سعيدٌ . وبحبّكِ أكثرْ. أعطيتُ. ولكنْ لك أكثرْ. في البدء كانت كلمةٌ وأكثرْ. واليومَ أكثرْ وأكثرْ. عانقيني . دثّريني . صَوِّري على جَسَدي . رسومَ اللّفظِ . ووَشّحيه . بلوحات فنّك . ثمَّ أرْسِلِي . على معاطفي . وبين جوانحي . خمائلَ لَيْلِك . إنّني . مَلّكْتُك نفسي وأكثرْ. أعانق شوقا . فإلى غيومك رحلتي . وإلى محيطك مَلجئي . طريقي إليك مفازةٌ . بها الأشواكُ تَلْسَعني . عهدي إليك . غاضبة أو راضية . لبيكَ أيُّهَا التَّعَبُ . لبّيكَ لبّيكَ . يا أيها اللّهبُ . دَعيني ونثرَ العُقود . أنا حرٌّ . وحرّةٌ كلماتي . كلُّ قَيدٍ بِجُرْحِه . وكلُّ جُرْحٍ بِنَبْضه . فَمَتَى النّزَالُ . فالمَرْكَبُ جاهزٌ . وكذا الأبطالُ . والأضواءُ . والقادمونَ لِيَنْظرُوا . مهرجانَ اللفظ جابُوا صوبَهُ . يعانقون الوزنَ . والإيقاعُ يُرْقصهم . إلاّ اليَتَامَى . هاتوا اليَتَامَى . دُرَرُ الألفاظ لها تتهادَى . نَثْرًا وألوانُه شتَّى . كما صاغ صائغ . أداعبُ الأوراقَ . أنا اللاّعبُ . أحرّكُ الأحجارَ . كأنها العاجُ . من رُخٍّ ومن مَلكٍ . وهاذي الأميرةُ . تموتُ وتحيا . والبيادقُ حولها . تطوفُ بفارسِ الشّطرنجِ . حتى تُذيبَه . سَتقولَ عندئذٍ . كشٌ ومَاتَ . فإنْ تحيا . فَبِإمْرَتِي . وإن تلهو .

فبلعبتي . وإن أنتَ أمسكتَ العنانَ. فقلْ لنـا . أيُّ الفوارسِ . ذاكَ الذّي .
غاباتُهُ العُشبُ . أم هذا الذي للَـفْظِـه ظالـمٌ . طَوَّفَتْ . فَلْتَـقْرَؤُوا . باسم
الدّعـاء . صَـلاَ تَـهَا . وَسُهَادَهَـا . نهَارُهَا الليلُ . وبعـضُ أسمائهَا . إلى
العـدالة . ومملكـةالعشق . مطلوبـةٌ . وَمَنْ غَـيْـري . أنـا الطالبُ . أنـا
الطـالبُ . فاسألي العَــرَّافَ عَنَّـا . ثُمَّ قولي . إنها الأقـدارُ فينـا . ربّةٌ تلهـو
وأفلاكٌ تـدورْ . و الّذي نفسي بـَلاَهَا . والّذي عَــنَّا يَغيبْ . أنَّ ذَا الرُّوحَ
مَلاَكٌ . أنّ ذا طيفٌ حبيبْ . عائـدٌ يوما يـُغنّي . سائحًا بين الدُّرُوبْ . في
رياضِ الأُفْـقِ يَدعو . ويُنـادي . ويؤوبْ . هو ذا الحُلْمُ المُؤَجَّلْ . هو ذا الماءُ
الـزُّلاَلْ . هو ذا الأيكُ الفـريدْ . هـو ذا الحبُّ العنيـدْ . فهل أتاكَ حـديثُ
القِلاعْ . شامخات . صامداتْ . أقفالُـها الصَّلْدُ . و الرواسـي الشاهقاتْ .
الصّخرُ أوّ لُـهُ . و البرجُ قبلتـُهُ . وفُـتَاتُ القلوبِ . حبّاتٌ على الأرض .
طيـورٌ عابـراتْ . وإذا البرقُ هَفَـا . وإذا اللحظُ مــدادْ . رجفـةُ الأقـلامِ
بياضٌ ناصعٌ . وفتحٌ قـريبْ . وإذا الـمَحَاجبُ تـرتوي . وإذا العسـاكرُ
غـازيـاتْ . و الحصنُ مـرتعش . والأسوارُ . و السهـمُ فاتـرٌ . و الأقفـالُ
هاويـةٌ . و النفس دَعـيَّـةٌ . والعصيـانُ نَجيـُّهَـا . والطّيرُ مالكُـهُ . نسورٌ
خاطفاتْ . شعـاعٌ . والجمرُ . مقْبَضُـهُ اليدُ . والأنـاملُ باسماتْ . ولذّةُ
اللّحـظ . قلـوبٌ واجفاتْ . والأنَا فـوق الأنـــا . والشعر فـاتــن اللـفظ
و المعـاصم واثقاتْ . و الإسـم مكـرَّمٌ . و الــمَحْتِــدُ واسماتِ عامـداتِ

زاهياتْ . والكل مزدحم و الضمائر في الأنا . هو الأنا . فلتكوني وليكنْ . حـرفٌ و حـرفٌ . حيٌّ لا يموتْ . أجهشتْ بـاللفظ صـاحَتْ : أقـولُ فأندَمُ . ولا أبـوحُ . فيَشتكِي الوَجَعُ . لَيْـلِـي سُهَـادٌ . والنهـارُ . كَمَـنْ سَـلاَ . وكَمَنْ شَـدَا . سَلُوا قلبي غَـدَاةً . سوا قلبي أصيـلاَ . لا تسألوني . ولا تفعلـوا . فلو سألتـم . سَأكْـذِبُ . ولـو فعلتم . سَـأكْـرَهُ . أن أقـولَ لكم . ما قـد قلتُـهُ . وعرفتُــهُ . وطويتُ صفحـاتِ الهَـوَى . ونسيتُ . أنْ أقولَ . إنِّـي عربـيّـةٌ . عربيـةٌ . عربيــةٌ .

تَضْمِينٌ

جَلَسْتُ . وثَــبَّتُّ في الـرّمْلِ الـذهبيّ . بأظـافـري . وأقمتُ عِمادًا . ونصبتُ شَمْسيَّتِــي . كما كان يَفعلُ أبي . وجَدّي . في غابـرِ الأزمان . في الصحراء . في شـواطىء العُشْبِ . وفي المراعي . وعلى ضفـافِ العيونِ . جلستُ . ونَصبتُ . وانتظرتُ كما انتظر مـوسى . قبل أن تجيء إحداهما . نصبتُ واستلقيتُ . وقلـتُ للشّمسِ : عليكِ . بمفــرشي أبْدِلِـــي منّي الغـلافَ . فأبي أسمرُ . وجـدّي أسمرُ . والقـارّة السمراءُ أمّي وجـدتي . أبْـدلي جِلْــدَتي . اِصبْغِــيهَا . أعْـرابيَّـةً . ذاتَ أنـوارٍ إذا انكشفَتْ . حُــمَّ الغَـمَامُ . وضاعَ لُـبِّي . وبعضُ قلبي . وتـاهتِ الأنظارُ . ونادَى الطّيفُ : يا أسمرُ يا أسمر . هل يأمَنُ البحـرَ راكبٌ . هل يَـنْزِلُ النهرَ إلاّ مغامرٌ هل يَعْلـو الجبالَ إلا مكـابـرٌ . بُحـورُ النفس مظلمةٌ . أنهارُ القلـبِ غائمـةٌ . جداول الخضراء تَـبْتَسِمُ . شواطىءُ الأنس فيهـا جَـنَّاتٌ من الهَوَى . فاتنةُ الرياضِ . سَوَّاحَـةٌ . تُـغْرِي . منْ بَنِي عُذرةَ جـدّي . من قَيْـسٍ . من ديارِ الرَّبْــعِ . عَشقتُ نفسِـي يـومَ عشقتُ كلماتي . يَـا فُصْحَـايَ . هذا غنـاءٌ . تَـهْوَى . أهيمُ بحبّها . تختالُ . أصبو بلهوِها . بغرامها . في مَرتع اللفظ .

في مَغـازل اللحنِ. في كل أغـنـيَّـة. هـي نفسي. هي نفسي. واضحُ اللَّحن. أعْـزِفُ. أقودُ التَّخْتَ. وأمضي. شاديا. شـاديا. لك يا عربيّةً. أيتها الفصحى. لساني وجنـاني. أهديتُك روحي. وهل قليلٌ. أهديتُك أنفـاسي. ذراعي ومَبْسَمي. وهـلْ قليلٌ. مـا كنتُ أحْسَبُ. أنْ قـد غَفَلْت. ولقد نَسيت. ألفاظُ الآخرينَ. علامةُ عَيِّهِمْ. علامةُ جنْسِهِمْ. كَفّي. ذراعي. صَدْري وأنَـاملِـي. وكلُّ ما فـي جَسَدي. شَـهَادَةُ حُـبّي. و تُـرجمانُ عـواطِفي. لا شيء في جسـدي. لا شيء في لُغتي. يُـحَرِّكُـهُ الهَوَى. ما لم يكن. مِـنّي الفؤادُ. هائمـاً. بالحبِّ قـد نَـبَضَا. الجسمُ حَـمَّالُ لَـذَّات بـلا أملِ. و القلبُ إذا أحبَّ. هَـامَ في عِشْـقِـه الجَسَدُ. نَـفْـسي فلتستجبْ. يا لفظُ. أنَّـى مُنَـيتي. بانَتْ. فجادَتْ. ثم هامتْ. فتشرَّبتْ صَفْـوَ الرحيق. رَحِيقِهَا. فَـلْتَصِفُ لـي. يا مَشْـرَبي. ولتقلْ: هو الفجرُ بازغًا. هـو ذَا مَشْرَبُ الألفاظ عند سُبَاتِهَـا. أجْهَشَتْ بالبَوْحِ. كنجمٍ يتوارى. بين الكلمات يَـسْـتَـتِـرُ. فَـيَلَذُّ لِـيَ الحديثُ. من عَبَثِ الــوليـد. ثـم أسَّـاءَلُ: حَالِـي كحـالِـكَ. أنتَ لي. وأنَالَـكْ. الخـلْـقُ كَلمَـهْ. و الوجـدُ كلمـهْ. و الـملـبَسُ والألـوانُ. وحركاتُ اليـد. كلمهْ. و اللفظـةُ المكتومـةُ. و التي تصل إلى الشفـاه ثم لا تُنطَـقُ. وقـولُنـا: إني مُـمسكٌ. كقـولنـا: لا أعرفُ. وإطـلالةُ الـوجهِ. وانسيـابُ اللّحظِ. كلمهْ. كـأنّما العينُ تَغْمِزُ.

وهـي لا تَغـمزُ. و الأنـامل اليمـنى على أظـافر اليسرى. و السـاعةُ على الـمِعْصَم تُطِلُّ من تُـخُومِ الثّوبِ. و العينُ تَسترقُ الـوقتَ. و الجيدُ إذ ينحني إلى الكَتَف. وابتسـامةٌ يَقْطعهـا الخَـفقَانُ. ووَجنـةٌ يتوالَـى عليهـا شحـوبٌ واحمرارٌ. وعينٌ تَشْــرَقُ لَـتَكَادُ تَــنْدَمِعُ. و الجَفْـنُ مظَلَّـةٌ. وفَراديسُ النعيمِ. جادت بخلٍّ يَقرأ الكفَّ. ويُصغي إلى النَّمْلِ: بكلِّ هذا السحرِ. أسَــرْتَـنِي. سَلَبْتَنِي. كفراشة. إلى النـور. أنّى صَـرَفْتَ السّيرَ. إلى كَبِـدِ السّماء. في الفضـاء الرَّحْبِ. قد غزوتَ الكـونَ. حَتَّى مَلكتَـهُ. تـُحرِّرُ القَيـدَ. سُودًا وبيضًا. إلى السماء مَعْـرِجُـنَا. إلى الشهـادة نَطلبُهَا. شهيقًـا زَافِـرًا. سبيّــة الوجـدِ. في المعشــوقِ خـالصـةٌ. ومع الحبيبِ خُلودُهَـا.

إفْصَــاحٌ

كلما سمعت شعـرا أو مَشيتُ راجلاً، كلما أنشدت أغنيَّــةً أو أكلتُ خبـزا. كلما ارتديتُ ثـوبـا أو احتسيتُ شرابـا. كلما وضعت على ناظـري مِـجْهَـرًا. رأيـتُ اللغةَ. حَضَـرَتْـنِـي اللغةُ. فاجأتْــني. أفسدَتْ مِشْيتي وغنائي. نَغَّصَتْ خُبْزِي وشرابي. أيقظَتْني بالكونِ بالنّاسِ بالغافلين عنها بالهَاتكينَ أعْـرَاضَهَا.

رأيتُها مع نوح. رأيتُ مَـرْكَبَــهُ. تَصورّتُـهُ يَـخْـتًا ملكيًا. في المزاد العلنيِّ. يُــباع ويُــشْــتَـرَى. بأغْــلَى ثمنٍ. فاقتنــيْتـهُــُ. وَرَصفْتُ على مدارجه، من قواميس الكلماتِ، من كل زوجين. حقيقةً ومجازًا. وفاضَ التنّور: اِركبي معي أيتها اللّغة سأحميكِ...

يا كلَّ حـاضرِي أيَا قَـدَرِي... أشكـوكَ قسوةَ العَيِّ. فَمَنْ سـواكَ يَــبعثُ الدّفـءَ في أوْصَـالِي. في الرأس سـؤالٌ. تَتَشَظّــى الذاكـرهْ. فمن يَــغسل عن قلبي التعبْ. أسْبح في بِرْكَــةِ الجسدْ. أرْسلُ إليكَ شُعْلَـةً من دَمِي. وشَهْـقَـةً نَسيـتَـهَا ذاتَ مساءٍ على صدري.

جـاءني بهاَ ودَعَاهَـا. فأتَـتْــنِي. مُتَخَــفِّـيَــةً. تـريدُ فُجَـاءتي.

هاتَـفَتْ . بـِيَد الـــمرْنَاة . فَـدَوتْ صورةٌ . تَـنْحَـــرُ الشّـرْيَانَ . كنتُ أرى الأيّامَ . أعُـدُّهَا ليلاً بليلِ . تَـطوِي نزيفَـهُ فأبْـتَسمُ . و اليومَ ها أنا أبتسمُ .

لا تُطِلْ بعـد اليومِ قصـائدكْ . فخيرُ السّحـرِ نَـفـثةٌ . معقـودةٌ . لا تَـملكُ لها . ذاتُ الـهوَى . أنْ تتعوّذَا . رُشَّـهَا رذاذًا . مُـمطرًا . متهاطلا . واختِـتمْ عليها بَصْمَـةً . أمّـيَّـــةً . هي لغـة الهـوى . عـاريـــةَ الحـروفِ . و الحركـاتْ . و الكلماتْ . فَهَمْهِمْ بها . متلكّئـا . والْعَـــنْ دُعَـاةَ الشعـرِ . وبعضَ الفصحاءْ .

كُنْ كطيفكَ هاويًا . وكَظلّكَ . لا تَبتعدْ . لأدغًا . هاجرًا . هبَات بلا نَـدَمِ . صَمتٌ خَشُـوعٌ و الصَّـدْرُ أوّاهُ . و الـــدمعُ من مُقلتي . في نشـوةِ وَهَّـــاجَة . في غمرة الأشجـان ودَّعتُهـا . لُـغَتي . وفي غفـوة كَصَفيرِ همسِ وكنور السَّمعِ أحتاجُهـا أدْعُو لها . كالعبد ينـادي و ينادي : ألا أيها المولَـى بربّ الشعرِ و للحبّ آلـهـةٌ هل مـن طيف يـُجدّد لي عهدًا و عهدًا ويقول لي : ما نارُ لفظ يـتَـجَارحُ يَـتـقَاطَـرُ . خذني إلى حِضْنِ الكلماتِ . لادفءَ في غيرِه . ملءَ الجُفُـونِ . وفي الأحلامِ . أحْـيَا وَتَـحْـيَا . لنـا الوفـاءُ . لنا الدنيا . وكل السماءْ .

في الكون مســالكُ . لا يَلجُهَا إلا واحدٌ . إلا مرّةً . إلا ســاعةً . ليس يدري متى هيَ تأتِي . إنْ كانت ستأتـي . فقـــد يـنقـضي العُمْرُ ولا تأتِـي . و الحمدُ ألفٌ يـومَ تأتِـي .

بَثٌّ

اصْطفّتِ الجماهيرُ واستطالت الطوابيرُ. تـزاحموا. ثم دخلوا. التفُّوا بالحَلَبَـةِأدواراً. تقول: كعبةٌ. ضجيجُ. صراخٌ. أصواتٌ كالاستنفار. دقّتِ النواقيسُ. صَعِدَ المتبـارزانِ. على الحَلَبَـة: الحبُّ و اللغةُ. تعاقَبَـتِ الجولاتْ. قال: أثمرتُ عشقا. قالت: وضعتُ شعراً.

مَـنْ زارعُ الورد. من صانع البهاءْ. مَـنْ خالـقُ الفِـتنْ؟

لولايَ ما كنتَ تحيا. ماكان شاعرْ.

لولايَ ما كان سحرٌ.

بعد نزول المطر. بذرٌ. نباتٌ. زروع. إثمارٌ ومَـخَاصِبُ. حصادٌ ومَغَـانِمُ. زال الجفـاف واختفى الجَدْبُ وعـاد المطـر يسـاقي الأرض فترتوي.

لقـد ألَمّ الطـائفُ وذهب بما ذهب حتـى أضنـاني وأنهك قُـوايَ وأنـا الضعيفة في نفسي. أقول عِـبَـراً. أسمع صوتكَ في السماء يوقظ أحلامي. ذاهلـةً. صامتـةً. حائـرهْ.

حين تَسْكُبُ في مسمعِي كلمات الدّفء أسـارع إلى المهد الوثير فأراكَ معي نـركض على صفحـات المطر فَـيَـنْـبُتُ البحرُ أحبـاقًـا فتبتسم المرآةُ ويضحك الكتاب ويتأوّه الوثيرُ.

ستتشكل كلماتي حين تمسح بيديكَ جبيني وتنثر نظراتِكَ على جسدي نَـدًى وإلـهامـًا.

فَلَمْ يكن كتـابٌ ككتابها. ولم يكـن حبٌّ كحبّها. وشـاع الخبرُ بين الأقوامْ. فصارتْ مَضرِبَ الأمثالْ فحسدها العقلاءْ وتمنوا هذيانهَا. وكان أوّلَ الحاسدِين كبيرُ العقلاءْ وقد أنكر نفسَهُ وعَـقْـلَ العقلاءْ.

اليوم آمنتُ أن الكـلام يقتلني إذا ما اللفظُ قَلاَنـي. أوْ هَجَـرْ. اليومَ أتلـو على جميلٍ وعلى المجنـون ولَيْلاَهُ و البُثَـيْـنـاتِ فـاتحةً. وغـدًا. باكـرا. سأرحـل إلى كلماتي. و سَـأُ رْكَنُ منهـا في زاويةٍ. وسأدعو شـاهدا عَدْلاً. وسأتلو على الكرسيِّ خطابا:

الحبُّ أغنيَّـةٌ. يجمعها قلبٌ تائـهٌ. يضع لَـحْـنَهَا نبضٌ قاهـرٌ. يؤدّي أنغامَها صوتٌ عاشق. يُروِّض تَـخْـتَـهَا معلّمٌ ماهرٌ. ثم يـُفْـشِي سرَّها لفظٌ ماكر.

عشقتُ الحسناءَ فوهبتُها كلماتِـي.

عشقتُ اللغةَ فوهبتُها حُـبّي وهُيـامِـي.

ضاعَ حبـّي يوم ضاعت كلماتي.

رَنِيـنٌ

ذ تُ الأشعـار تكلّمتْ فجـرا وطلبتْ مـن جنـود الليل أن يَسكتـوا فـأصغَى لها الجمع ثم انحنوا فقالت مخاطبةً أنيسهـا : ما الذي تريدُهُ منّي ، مالذي جئتَ تطلبُـه. فالكونُ أرحبُ من فضائي. ويـدُكَ الطُّولَى. والكلُّ حولك : يُــحَلِّقُونْ. ويتسابقـونْ. ولك يُغَنُّـونْ. نشيـدَ الحرب وأشعار الجنـــونْ. إلاّ أنـا. وأنتَ على العـــرش كمالكِ الأرض و السماءْ. تـــوزِّعُ صكوكَ الغفرانْ. وتُعطي الجوازاتْ. وتَــخلع الثوب على من تشاءْ . ثم تُوقدُ النـارْ. وتَقتطعُ الشعورْ. فَتَــنْـثُرُهَا سَعِيرًا فالدنيـا بَخُورْ. و العطرُ مِــخْدَارْ. ويحترق العـود ويتفاوح المسكُ ويلتـذّ الخليلْ . وعنـدهـا يهلِّل الحفلُ من حـولكَ وتتقاطع الأذرع على النُّحُـورْ. فينحنـي الجيدُ وتصغي الـمَسَامع و القلبُ يَتَـهَـدَّجُ و الأنامـل تَزْرُقُ . خوفٌ و حرقةٌ وانتظارْ. والكلُّ غـائظٌ و الكلّ مَغيظٌ و الكـلّ يَستبصرُ القضـاءْ. صـولـةٌ منكَ يـا عـاصرَ لقلوبْ. يـانـافثَ الأرواحْ. وتقف أنتَ سلطـانًا عتيـدًا. يصرّح بالأحكـامْ. وتقف أنتَ جبّارًا زعـوقًا. يَــعْصف بالحسـانْ. ويطولُ بين وقفتــكَ و الكـلامْ. سكوتٌ وسكـوتْ. كأنها النَّبْلُ تصيب القلـوبْ . وتقـول كل لاهثةٍ. وتقـول دون أن تقـولْ . وأقولْ . ألاَ إنكَ الــحكَمُ.

ليتك لا تَـعْـدُلُ. وكيف يَـعْـدُلُ الحَـكَـمُ. إني أنـا الأنثى التي لم تَـفُـزْ بالسّبق ولا حَطّمتْ رقما بالقياسْ. فكيف لي بـالفلاح أطْـلُـبُهُ. وكيف لي بتـاج العرش أحملُـهُ. كنْ ظالما وخـذني . كن ساحـرًا. كنْ سليمانْ . كن قـاهرا لمن سَـبَـقُوا. كن مُنصفا للتي تَلْعَـنُ العَـدْلَ وخذ بيـدي . كن جائرا. وكن لي فأنتَ أنتَ العادلُ.

لـو كنـتُ أعْـدُلُ مـا عَشقتُ . لـو كنتُ مُنْصفًـا مـا جلستُ على العرشِ. فأنا بِجَوْرِ الحُبّ أحتكمُ. وأنا من العدل أنتصفُ. فالعدلُ عدلي. وحكمُ السماءْ. ولا يعرف العشـقَ إلاّ من ظَـلَـمْ . إني قـد حكَمْتُ عليك وحكمِي نافذٌ. وحكمي قاطـعٌ. لا يُسْتأنَـفُ. و الحاكمونَ و القُـضـَاةُ و الـمُرافعونَ في مملكـة العشقِ و الذين بقـانون السـماءِ يَنطقـونْ. إلـيكَ سيقـولونْ . إني قد حكمتُ وحكمِي قـاطعٌ. لايُستـأنفُ. و الهائمـون في ربوع الوجـد وحُمـاةُ العرين. وأهل الرباطِ. وحـرّاسُ الثغورِ سيَتْـلُونَ ظَهيرَ الحكمِ وحيثيّـاتِ القَطْعِ. وسيقـولـونَ هذه استقالتُـنا من الشعـرِ. وهـذه إجـازتنا. من حقـوق الكلمات. فكـلامنـا اليـومَ كلامٌ جـديـدْ. ومُعْجَمُـنَا اليوم قاموسٌ جديدْ. سلطانُ الشوق كعشاق المرايا. وأصوات الـمُحبّينَ كرسـائل المراودينَ. من فاتنينَ. ومفتـونينَ. حولَـك قـامت ملامح الجريمـهْ. ومنك قد صَدَرَتْ. فيالقُ التهمـةِ. وعليك حيثياتُ الإدانـهْ. عنكِ قـد حُـرِمَتْ ظـروفُ التخفيـفْ. إلى قضـاء الحبّ

فاسْتَسْلِمِي. عليكِ قد حكَمُوا . حبًّا مؤبَّدًا. فادخلي القلعةَ وجُرّي أغلالَ قيدٍ يحوطُ بك. إلى الأذقان. وعلى المَعَاصِمِ. و الخصرُ مُسَلسلٌ . وقُيّدَتْ الخُطَى. وتُحْسَبُ الأنفاسُ. أفلا تتبتّلينْ. أفلا تتأوّهينْ. لا يَعْرِفُ الحبَّ إلا من ظُلِمْ. ولا يَدخلُ الجنّةَ إلا من بكَى.

حسن يوسف الموسى

حَرْفٌ

الكلامُ اسم وفعلٌ وحرفٌ جاء لمعنًى وحرفٌ ليس كسائر الحروفِ وحرفٌ يُدركه الحسُّ وحـرف لا تؤديـه الصّفهْ. في الليلـة البَدْرَاء تغيبُ الكلماتْ. أنا الحرف الذي فرّ من قيـدِ الكَلِمْ. ريشة ذهبيّةٌ. تَـرسم ألفاظي بألوان الشـوقِ، على صفحات الألَـمْ. تُـقَـيّدُ أنفاســي ثم تُـطْلقُهَا. كما الآهــات. في الهواء الطَّلْقِ. على سِجِـلاّت الألَقْ. نَــادني أركَبْ إليكَ. نادني. أيا حُسْنِي أيـا مُنْيَـتي. أشدوكَ أغْـنِيَّـةً. أراقصُ إيقاعـًا يـَخْطَفُ الأبصارَ برقًـا. فأنا الصوتُ إذا الصوتُ هَـمَسْ. نادنِي واصْــرُخْ. فزمانُ اللّفظِ وَلَّـى واحْـتَـجَـبْ. لكَ الروحُ. لكَ الجسـدُ العتيقُ. لك منّي ما يـَنْبُــضُ وما قد سكَتْ. هُـزَّنِـي بِـصِيَاحِ صَوْتِــكَ. فأنا الفجرُإذا الليلُ غَـسَــقْ. اسْكُبِ السَّيلَ على جَسَدِي لِـتَسْـتَلَّ من غمْدِيَ سيفَ الأرَقْ. وتَغْسلَ أوْتَارِيَ العَطْشَى. وتُرْسِلَنِي. طيرا يُـحَلّقُ في الأفقْ. خُـذْنـِي أنا الطائـرُ. خذني على الرّبوةِ الخضراء. ضُمَّـنِـي واصْـرُرْ. لا تبتعدْ عـنِّي. وليكنْ لَـيْـلُـكَ كَــأسِـي. إني على سَـفَرٍ. في ليلةِ الغَسَـقْ. إنيّ إلى رحلةٍ من وراءِ الشّفقْ.

عندمـا عرفتُكَ كـان مِـنْ حولي فَراغْ . كالهُــوَّةِ السَّحيق . أتجلَّـى على حـافـة من بئرٍ . أمُــدُّ يَـدِي . أنْسَـاحُ إلى الأعماقْ . كأني إلى الخلـودْ . بـلا قـرارْ . بـلا زمنْ . بـلا حدودْ . مَــدَدْتُ يـدي . أمسكتَــنِي من ذراعي . تعلّقتُ بجسمكَ . أحببتُ نجدتَــكْ . هممتُ بِمَــلْءِ الفـراغْ . وحـدثتُ نفســي . بغير مـا في نفسي . حتّـى انطمَسَ الفــراغْ . جـاؤُوا إلى البئـرِ السحيقْ . ردمــوهـا . فـارتــدَمَتْ . على الأرضِ من جـديــدٍ . وضعتُ أقدامي . صلبةً وجدتُّــها . صخريّةً . شكرا لكَ أبا المكـارم . شكرا . قد امتـلأ الفراغْ . شكـرا وحمدًا . يـا مُوقِــدَ الأنوارِ . يـامطفيءَ الشمـوعْ . يامَـالِـيءَ الفراغْ .

ذاتَ سَـفَرٍ طرقتُ بابَ الكبرياءْ . توسلتُ ذاتَ ألـمٍ مناجيا : كيف الكبريـاءْ ؟ من وراءِ الستارِ . ذاتَ بهجــةٍ . نَسيتُ الألمْ . قفلتُ راجعـا . وفي يدي . باقـةُ أزهارٍ . كأنها . أزهارُ عروسٍ . تخَضَّبتْ أشعـارُها . ليلةَ عُـرْسِهَا . بأوجـاعِ البهجة . وَحنَّـاءِ الألَـمْ . فهل تتـواصلُ الأرواحُ دونَ الأجسادِ بعد أن التحمتْ الأجسادْ؟ هو التألُّــهُ أو إيذانٌ بالوداعْ . فَـبكَى السائــلُ .

كيف تستقـرُّ النفوسُ على النفوسِ .

سُـئِـلَتْ الأفلاكُ فلم تُـجبْ .

وسُئِـلَ الإنسانُ فقال : إن سكَـنَتْ .

ثم سُئِلَ أخْرَى فقال : إذا احتَدَمَتْ .

وَغَضِبَتْ من انتحالـه السَّـماءْ .

فَسَأَلتْ الأفـلاكُ آدمَ فقالْ :

الساكنُ عبدٌ ، و المسكونُ عبدٌ ، و العَبدُ على العَبدِ .

وسَألتِ الأبـراجُ حـوَّاءَ فقـالتْ : إذا السـاكنُ مسكـونٌ فَـصَحْوٌ وَاسْـتِـسْقَاءْ .

وإذا السّاكنُ سَاكنٌ و المسكونُ مَـسْكونٌ فموجٌ يَـمُـورْ .

فَـادْلَهَـمَّتْ السَّـماءُ حَـتَّى الـرَّميمِ وأطْبَـقَتِ الأفْـلاكُ وَ أقْـفَلَتِ الأبراجُ واحتَـمَى حُـرَّاسُـهَا .

فقال الكاهنُ : إعصارٌ ناسفٌ .

وقال الراهبُ : عارضٌ مُـمطرٌ .

وقال الساحرُ : غيثٌ نافـعٌ .

وقال الساكن : رَجَّـةُ الـزَّلازِلَ .

وقال المسكونُ : بَـرْدٌ وَسَـلاَمْ .

سَمَاعٌ

حَـدّثتْ ذاتُ الأشجـان قـالت : رأيتُ ليلـةً في المنـام أنيّ ــ ونسـاءً مثيلات ـ قد اجتمعنـا حولَ آسر القلوبِ مُــحَـلّقَات ولم أكن قـد انفردتُ بـه، فتذاكَـرنَـا المحبّةَ وأوردت كلٌّ واحـدةٍ مـا حفظتـْه . قـالت الأولى : حقيقة المحبّـة قيامُكَ مع محبوبكَ بخلع أوصافـكَ. وقـالت الأخرى : أنْ تتكلمَ كلامَ عاشقٍ فنيَ في عشقه وخرج عن أوصافه إلى المحبوب. وقالت الثـالثـةُ : ميلُـكَ إلى الشيء بكلّـيَّتكَ ثم إيثـارُكَ لـه على نفسك وروحك ومالـكَ ثم موافَـقَـتُـكَ له سراً وجهرا، ثم علمُك بتقصيرِك في حُبّـِه .

ثم انبرتْ مـن الجمع واحـدةٌ كنّا نظنُّـها كالخرسـاء ـ وكـان الآسرُ يَــرقُبُ ــ فقالت: مـا يسيطـر على الـوجـدان من آية الميثـاق حتى يكـونَ الوجـودُ للمحبوب. عبدٌ ذاهبٌ عن نفسـه متّصل بذكر محبوبِــه ، قائمٌ بأداء حقوقــه، ناظـرٌ إليـه بقلبـه، أحْــرَقَتْ قلبَه أنـوارُ هويّــتـه وصَفَـا شُــرْبُــه من كأسِ وَجْـــده، فإنْ تكلّمَ فبـالمحبــوب، وإن نطق فَعَنِ المحبوبِ، وإن تحرّك فـبَـأمْرِ المحبوبِ ، وإن سكن فَمَعَ المحبوبِ .

وهممتُ أن أتكلّـمَ وخَشيتُ، وأنــا بين خـــوفٍ ورجـــاءٍ هَتَف

الآســرُوقال وكأننا لم نكن خَالِصَات : هــلاًّ كَــفَـفْـتُنَّ عن المحبّـة لا تَـسْمَـعهَا النّفوسُ فَـتَـدَّعيَـهَا . المحبة هِـبَـةٌ لا يكتسبها العبد بالمنازلة وما لا يخضع للكسب يُـخشَى من المذاكرة فيه حتّى لا تطلبه النفس أو تدّعيَهُ .

فأفقتُ وشفـتـاي تردّدان : قد قال كـلّ شيء .

ويـروَى أنّ ذاتَ الأشجان قـد أخذهـا في غَسَقِ الليل أرَقٌ ذهب لها بنصفه وإذ هي بين فكرٍ ومَنامٍ تَـسَــلّل إليها بين الستائر طيفٌ قالت خلتُه مَـوْلَـى السلامِ رسولَ الكلمات فـناجيـتُـه .

يا شاعرا قـد تغنّـى بشعره الشعراءُ . يا ساحرا . ياقـاتلي . يا مالكا . قد تَــسَـلّـى بظلـّـه الأمراءُ . ياصَـائغا بـاللفظ أحلَـى الكلماتْ . يا نـاثرا عَــقدا فريـدا . يا نـاقشا . يـا ناحتـا . بين ألماسِ وجُـمانْ . سأرتـادُ لكْ . سأنسابُ لكْ . وأذيــعُ يوما على المآذن . وأشقُّ الصّفـوفَ . و القائمينَ . وأدعو الجمعَ ومَنْ مَعِي . تُوبُـوا مَعِي . هذا مَلاكُ الهائمينْ . وبَعدهـا يوما فيومًـا . ستَأتـيـنِي . سيفُكَ الأرضُ . والخناجُـر تختفي . و الشعرُ منكَ . مدحـورٌ . وأنا التي . ستَشـدُّ على مَعَاصمكَ الـوثَاقَ . وعنـدها سأهمسُ لكْ . يافارسي . يا آسـرِي . هذا جوادُكَ في يدي . حصنُ الوَغَى . ومَرْمَى النّزالْ . عليـكَ بي . عليكَ بمن قد أسَــرَكْ . فإن كنتَ يومـا طاعـنًا . وإن جاءكَ الظّمأ . أو شَدَّكَ الوَجدُ إلى القتـالْ . فهاذي أنا . فيها النزالْ . وفيها الــمُــقَامْ . الشعــرُ بيتِي . و السّجـونُ قصـائدي . وأنتَ هنــا سجــينُ

الكلمـاتْ. فـداكَ الـرُّوحُ تَزْهَـقُـهَا. فجراً. وصُبحًا. ومساءْ. و الرّوحُ منسلخٌ. والبرازخُ تنتقِي. و الحصنُ منفتحٌ. يثــوبُ بحكمـه. ويطلبُ لـكْ. أن تُــعيدَ القتلَ دومًا. يا قاتــلاً. يا زائرا. يـامقيما في أَضْلُعِي. إنيّ فداكَ وقد حكَمتُ عليكَ. إني فداكَ و الحكمُ حكمٌ مُؤَبَّـدٌ : أنتَ القاتلُ يوما. أنت القاتل دوما. إني فـداكَ وعلى المــآذنِ صيحتِي: غفرتُ لَـكْ. غفرتُ لَـكْ.

فَاصِلَةٌ

قلت: أنا اللغةُ يتكلمونني ولا أبُثُّ أحدًا شكَاتـي . أنا اللغةُ. أنا الأنثى . إنّي كَحَـوَّاءَ تَشتـدُّ وتُـمعن في الشدّة . تُـقاومُ نفسَها وتُبدي غيرَ ما تُـضمرُ. تقولُ عنها أبـيَّةٌ نَافـرٌ . تقولُ عنها فضيلةٌ خالصةٌ . يحادثها الشيطـانُ فـلا تَسْمَعُ. ويَتغـافل عنهـا الأمـلاكُ فتـدعـوهم فيـُخجلُهم دعاؤُهَا. حتى إذا ما هفا حسُّها ورَقَّ منها الشّجى وخَفَـقَ القلبُ نـابـضا مُـتَـدَفـقًا وَحَادَ ثَـتْـهَا النَّفْسُ على وَجَلٍ واشرأبَّ منها الجيدُ مُفَاتـنًا وطالَ انتظارُها فلم تَدْرِ أساعيـةٌ أم مطلوبـةٌ أراغـبَـةٌ أم مَـنْسيَّةٌ وجاءها اللَّحْظُ بهمسة ذَهَبَتْ شدّتُـها كأنْ لم تكن وتسارعت منها الخُـطَى تُـسَابـقُ المناديَ ومـا هي إلا ومْضـةُ البرقِ إذ تَـتَـكَـشَّـفُ، تتهـاوَى، تُسْلمُ النَّفْسَ ومـا بـالنّفسِ ، تتعـرَّى ولا يُــخْجلُهَا العُــرْيُ. فما أسرع أن تَـتَعَــرَّى التي اشْتَــدَّتْ واستمسكَتْ . مـا أعْجَـلَ أن تتكشّفَ ، تتهـاوَى. وإذا تجلَّى المغمـورُ الـذي كـان على الأنثى فما أعْسَـرَ أن يَـحْـتَجبَ ومـا أبعـد أن يَـتـَوارَى ، تَذهبُ الأزمان وتأتي الـدهور وتتكاثف جبـال الأغطية وفي لحظـةٍ ، في همسةٍ، بغمزةِ الطّرف ـ إذا شاء سيّدُها ـ تَسيلُ الجبالُ و الأقنعةُ

وشَامِخُ الرّواسي كأنها الثَّلـجُ فَاجَـأهُ لَـهيبٌ شُوَاظٌ .

أيتها اللغة ، أسراري ومكامني ، ماذا فعلت بالذي قلتُ إليك ، هل تلوتِه وهل رتّلت حـرفَهُ ترتيلا أم هل قلت : أصابـَه الشعرُ . ضُمّيـه إلى صدرِكِ ضَمَّـةً تُـذيب مـدَادَهُ فيتسلّـلُ إلى القلب الرفيـق بين أحناء الدّفء الوديع مُطـلاًّ على الجَمْرِ تَـفْنَى الأكوانُ ولا تَـخْبُو نيرانـُه .

أيتهـا الكلماتُ : مَتىَ تـوكّلـتِ على الحيّ الـذي لا يمـوتُ وسمّيتِ باسم ربِّ العزة و الملكوتِ وطويتِ المكتوبَ ودعوتِ بالقهرِ والجبروت؟

إن للكلام جَـلالا وعليه مهـابةٌ كعظمـة السلطان يَـرْكَبُ الراحلـةَ يَـخترق الـمفازات ويَــجـنُّ عليه الليلُ فلا يتزوَّدُ ولا ينـام حتى يكون له صـوت بـه بُحَّةٌ تعتـريها حَشْـرَجَةٌ فَـيَتَـأبّى ثم يتـألّه ثـمّ تـرتـجف شفتَـاهُ مــردّدا :

المدادُ عَصـيٌّ و اليراعُ على الإبـاءِ وينبلج من ثغرهـا النورُ وتسأل مَنْ أتـاهـا : كيـف أنتَ قبل أن تـراني . فيقـولْ : كما كنت أكــونْ ، أسعـارٌ ومُهـورْ ، أبتـاعُ من الـهوَى وأبيـعْ ، صَفَقَاتٌ بـلا خُسرانْ ، وكلٌّ بـائعٌ ويشتري ، وربّـاتُ الخدورْ . ومن الكلام مـا سَحَـرْ ، ومن السحر ألـوانٌ تَصْدُقُ وألـوانٌ تُـداري ، ويجلو الشعرُ أستـارَ النفوسْ ، حدّثـيني يـا ابنةَ النّور عن سِــرِّ البلاءْ ، واكتُمي السّـرَّ عن مـاضٍ تَـولَّــى ، واصْـدَحي بما هو آتْ . قالتْ : أأنساكَ يوما فلن أراكْ . قالْ : هكذا قالت حوّاءْ ، وهكذا

روى الرّواةُ عنها ، كلّ البنات كأمّهنْ ، إلا التي بأنيسِ الروح قد آمنتْ .
قالتْ : بل سأتلو صفائحَ الذكرى وأقولْ: دَعْ مَنْ تَلاَ وهاتِ ما هو آتْ ،
وسيَقْدِمُ الضيفُ وتُرْصَدُ الآهاتْ . قال : فَلِمَ اللفظ على اللسانِ
و الصدر قد ضاق بما لا يطاقْ. قالتْ : أحبّكَ حُبَّيْن ، حبَّ الهوى
وحبّا على قَدَرِي، لعبتُ له ولا أرتوي وقلتُ : سحابٌ عابرٌ وغيثٌ لا
يَنِي . فامتدتْ السماءُ وتَقاطَرَ الصَّحْوُ و انفجر الغمامْ. قالْ :
وشأنُكِ مع الذين عرفوك. قالت : كنتُ أصادفُ الرجالَ ولا رجالْ،
أتَمَلَّى ويتساردونْ ، أحبُّ ألاّ يأتيَ الرجلُ فيأتونْ، وكنتُ في نفسي
أتلهّى وأقولُ للواحد منهم : سأنساكَ ما ذكَرْتَني ، وسألقاكَ ما
نسيتَني، أفَلاَ تَفْعَلُ. قالْ : كذا كُنَّ مَعي ، تشتدُّ الأبيّةالنَّفُورُ يوما
ثم إذا هي عِهْنٌ مَنْفُوثٌ، يطيبُ فيه المقامُ و الوزنُ خفيفٌ، فَتَزَّاوَرُ
النفسُ عنها ، ويطول الجهد يُدافعها ، ويشتدُّ العَنَاءْ. و المَلَلْ.
وروائح الجسدْ. حتى لَقيتُك . قالت : لقيتَ الشعرَ ومُستلينَ الكلامْ.
قال : وفعلُ الفاعل يَحفرُ الأجرامَ خُدُوداً فتسيلُ النفس سَيَلاَنَ الهَوَى
كأنها الغيثُ الرَّذَاذْ. قالت : أفلا تخشى الفراقْ . قال: يوم لا تتلهفينْ ولا
تتوجّعينْ ويوم تخبو في ديوانك نيرانُ كسرى . قالتْ : قلبٌ وَجلٌ
ومَعَاصِرُ من دمي . قالْ : هو العشقُ وهو الرَّدَى . قالتْ : فأنا الفانيهْ.
قالْ : حملتُ لَكِ حِملاً وشَقّقْتُ عليكِ ثم رفعتُ المَرافِعَ وسافرتُ.

لَــوْحٌ

أيّهَ المتكلّمونْ. أيها الســامعونْ. يـا سُعَاةَ البريـدْ. الكلماتُ لعبتي. وغوايتي. أعابثُ بها الأنثى. وأقـول لها إني مُعابثٌ. فَــتَـقبل عبثي. ثم تُـدْمِنُ عبثي. وَلاَ أنْــفَـكُّ أقـول لها إني أرتّبُ الكلماتْ. وأسـوّي مَفَـاتِنَ اللفظْ. ولا شيءَ من وراء اللفظْ. ولا تفتأ تُــمْعِنُ في قَبولِ اللفظْ. وحبِّ اللفظْ. حتى تَــنْسَى صاحـب اللفظْ. وإذا أنـا بـالكلماتْ. آتي إلى ذات الجمالْ. وأقـــولْ. وقعـتُ في شراك لفظي. فصـــدّقـتُ نفسي. فلست بعابثٍ. فتـقُسِمُ هي أنيّ عابثٌ. وإذا اللغة بصاحبِها. وإذا اللفظ بقائلِه. واصفٌ وموصوفْ. كفاتـنٍ ومفتـونْ.

أقولُ مسائلا. هل أنا آثمٌ. فتقـولُ. لا. وجلالِ اللفظ. أقول. لا أعرف الهوى. تقول. لذيذٌ كلامُكَ. جميلٌ خداعُكَ. فاتنٌ يُـغـري.

وتمضي الأيّامُ. وأطلبُ إجازتي. وأمْسكُ. فتبـدأ الرحلةُ الأخرى. مَقاماتٌ. شَدْوٌ رخيمٌ. أستنفـرُ ثُــمَـالَـةً من كأس العزّة. فلا أفلحُ في دحـر الكلماتْ. أصيبُ مَــقاتلَ الإباء. فتترامى. أسخـو بفُتَـاتِ اللفظ. مهترئا لَـوْثَـتُـهُ الشّـفَاهُ. متراخيًا بَـلَّـلَـهُ الرّضابُ. وأمضـي.

ويوما . مَلَلْتُ الكلماتْ . فقصدتُ طبيبَ الذاكرَهْ . وطلبتُ الدواءَ للذاكرَهْ . فأعطاني وصفةً : فتّاكةً . وصفةً لمحو الذاكرَهْ . ارْتحتُ من الذاكرَهْ . غيرَ شيءٍ واحد . ظلَّ في الذاكرَهْ . أنَّ طَبيبي قد عَرَفَ يومًا . بعد مُصَابِه في حُبِّه . كيف تُمْحَى الذّاكرَهْ . ولم يَنْسَ . منذُ ذاكَ اليومِ . مَوْتَ الذّاكرَهْ .

أخذتُ قاموسي . وكلَّ معاجمي . وسافرتُ بها بعد العلاج . مستجمًّا . في غيابِ الذاكرَهْ . ويومًا . و الشتاءُ بثلجِه . في أوجِ عزّتِه . ونحن في غرفة . على الهضاب شاهقة . من جبال الأرض . وفي تلالِ السماءْ . ونوافذُ البلّورِ تَحجُبُنَا . ودفءُ البيتِ نَصْنَعُهُ . بالثَّلْجِ نَهْزَأ . بالأمطارِ . بالسُّحُبِ . نَرْنُو إلى الكونِ . نرنو إلى كَبِدِ السّماءْ . ونقول . في صمتٍ . لا شيءَ بعد اليومِ يَفْصلنا . إني . ولغتي . في المَنْأى . القَصيِّ . ولا عُتِيِّ من الأنواءِ يَقتربُ .

أيتها الكلماتْ .

ليس فضيحةً حُبّي . ليسَ فضيحةً عشقي و شَبَقي . حين أخلو . حين أرْكَنُ . حينَ أغدو . وحين أروحْ . على لساني . وبين الشفاهْ . أنتِ وَحْدَكِ فضيحتي .

ردّت فقالت :

لا تُفْشِ سِرّي . سِرَّ حبّي . سرَّ لَهفي . لا تمشِ على حافتي . لا

تَبُحْ بِمكَامِنِي . بِجَسَدِي . أنتَ جِسْرِي ومَسَالكي .

لن أقولَ شيئا . لن أبوحَ . فلستُ بخائنٍ . هل تَأْذَنِينَ بهمسةٍ . أيا لغتي . الصيَّفَ ضَيَّعْت الجَسَدْ . الصيّفَ ضيّعت الجُسُورْ .

لو جئتُكِ كاملاً . ما أحْبَبْتِنِي . تَمّمي التّمثالَ . ثم قولي . صَنيعتي . أنا الفنّانة . أتيتُ إلى اللوحة المُثْلَى . فَعَبَدْتُّهَا . ولمّا استقامتْ . بعد لأيٍ وشدّةٍ . وحسبتُ أنّي الصّانعَةْ . وظننتُ أنيّ المالكَهْ . استوى الماءُ و التمثالَ وريشتي . ووجدتُّني . أسيرةَ فنّي . وإلهامي . بلغتُ به النُّهَى . بالشعرِ . روّضتُهُ . فيا عَجَبًا . كيف استقام اللفظُ . بِيَدِ النَّحَّات . كَمَعَاولِ النَّقْشِ . كَمِبْضَعِ الجَرَّاحِ . وإذا أنا . في الفنّ هائمةٌ . أحببتُ فنّي . فَعَبَدتُّهُ . نَذرتُ لَه عُمْرِي . وأحللتُ له زمني . فلا فَقَدتُّكَ يازمني . ولا حُرِمْتُكَ أيا فنّي و يا أمَلِي .

صَـــدًى

أيها الشّعــرُ. أيتهـا الحروفُ . أيــا كلماتي . سيأتيكُنَّ يـومًــا . من يُـنَـظِّـفُ القصيدَهْ. من يَصْقُلُ الْـبَـرْدِيَّ. من يطهّر سَنَـمَ الأقصاب. فقـد ضاع مني قلمي الذَّهَبِــيُّ. ضاع منّي. أضعتُـه. أتلفتُ نُـسْـغَـهُ. لَوَّثْتُ مـدَادَهُ. فعدتُ إلى اللَّوحِ . يـوم كنتُ كالأطفالِ. أخُطُّ وأمْـحُو. ويَـدِي مُلَطَّخَـةٌ . بـالكِلْسِ بالطِّينِ بـالأغبـارِ. ومؤدِّبي كـالعرّاف يقـول مستبشرًا. ستَنجح يا ولدِي. ستَنْـجَحُ يا ولدي.

رُحماكَ يـــا أبتي. عَلَّــمْتَــنِي. وظننتَ أنّـــي نــاجِحٌ. فأغـدقتَ بـالإكرامِ. وجـودُكَ لا ينتهي . وأعطيْتَ مـؤدّبي. كلَّ السّخـاء. وجئتَ للعَرّاف. هـازئا ومصدّقا. وعانقـتَ قولاً قد بَـدَا. كالنُّـبُوّة صالحًا. أنَّ ابنَـكَ ناجِــحٌ. فحمدًا . لربِّ العالمينَ. أنـّك غائبٌ.

كنتُ كالطائرِ. يلازم الأقفـاصَ. حتى أحَبَّهَا. ويـوما. خـرجتُ محلّقًا. وهـجرتُ المساجنَ. وودّعتُ مساكني. وقلتُ. بلا عودة. فالأفقُ رحبٌ. وطلقٌ. ومشـاعـري في عُــرسهـا. زاهيـةٌ. بيضـاءُ. بأجنحـةٍ خفّاقـةٍ. وركبتُ البحرَ. بحرَ الكـلامِ. وأمسكتُ كالملاّح رايـةَ مقودي.

وأطلقتُ إنذارا. كأصوات المَدافع حَلَّ أمامَها. ضيفٌ أميرٌ. تُدوّي لَـهُ. بالأفراحِ صارخةً. ومن لُـجَّةِ الأبحار. تَسَلَّلَ مَـركَبي. على جَـنَـبَات الشعرِ. وحذوَ صخوره. هَبَّتْ رياحٌ. واستشاط الموجُ. فالشّراع ممزَّقٌ. والعوامد فُـرِّطَتْ. و الرّواسي تَـزَلْزَلُ. على الضّفاف. تكسَّـرَ زورقي. سأرثيكَ يازورقي. سأذْكُـرُ ما حَييتُ سعادةً. قلتُ يوما للورَى. خذوا الدنيا. وهاتوا زورقي.

سأرثيكَ يا أبتي. سأرثي مؤدّبي. سأرثيكِ يا نفسُ. بلوعةٍ. حَرَّى. أنـّي لم أصُنْ. شراعا سابحًا. رحماكَ يا أبتي. فطفلكَ راسبٌ. في البحرِ. وفي امتحان اللفظ. طفلكَ راسبٌ. قد حاولَ مرةً. ألاّ يكونَ مكابراً. تآنَسَ بـاللّفظ. وقال لعلّني. أكـونُ ملاّحًا على مياهِ النّهرِ. قبلَ المُحيط. محبًّا لا يَـنِي. فأحمالُ أرضي. أناخت أظْـهُرِي. رحماكَ يا أبتي. فطفلُـكَ راسبٌ.

قد كساني اللفظُ يوما. لوحةً. فنـّيّةً. من غابرِ الأحلامِ. جاءت رسومُها. بعطورِ صوتِ فاتنٍ. فسوّيتُها. ونقشتُ لها الألواحَ. من أنْدلُسٍ. ووَشحتُ لها الأليافَ. وأعْلَنْتُـهَا. أسطورةً ذهبيّةً. وإذ أنا ساجدٌ. لها أنحني. نَـزَّ منّي قلمي. فَسَرَى منه المدادُ. فَلَطَّخَ ثَـوْبَهَا. وراح الفَـنُّ. إلى الإلاه. منّي يشتكي. ثم أرسل لأبي. رسالةً مطويّةً. قد خَطَّ فيها: إنَّ ابنَكَ راسبٌ.

أنـا الحرف الطليقُ. أنـا القصيـدة الحرَّى. أنـا اللفظ و السحـرُ. في موكب الشّعرِ. تألّـقَ مَولِـدِي. ثم ضاعت مُهجتي. فَتَـاهَ نجمي.

تأوّهَ الشعـرُ يومـا . واشتكى. متـوجّعا بحنينـه. يَذرف الـدمعَ. وللقصيد أنينُـهُ. كمهاجـرٍ. وكما الغريبِ. فـالأشجانُ داعيـةٌ. و النفس تهفو إلى الأوطانِ . أوّاهُ ياقَـدَري. إني أنا الشّعرُ الذي. قـد صارمتيَّمّـا. قـد بات معـذّبّـا . بـلا إلفٍ ولا أملٍ. من ذا الذي بعـد اليوم يقـولني . رحماك يـا قائلـي. فأنـا اليتيمُ. منـذ تـركتَنِي. وأنـا الكسيرُ. يـوم ضـاع القَـلَمُ.

رَجْــعٌ

جرّبتُ دَهْـراً في السّباحة حُظْوَتــي. ونزلتُ قاعَ البحرِ. كمحترفٍ للصّيـدِ. كما الغـوّاصِ. يكـاشف الــمُرجان وهـو أليفُــهُ. يــداعب الأصـدافَ وهي خصيمـةٌ. ضغطـتُّ على الأنفـاسِ. ولُـذْتُ بـالأعماق مناديـا. من بحرٍ إلى نَـهَرٍ. في لُـجَجِ الألفـاظِ. وهي عنيدةٌ. وصحتُ في داخلي. هذا هـو النهرُ المحيطُ. وفيما أنا بين يأسٍ ويَــقْظَة. إذا بالفَيضِ. فيض السَّماءْ. يجودُ ويسخـو. تهاطلت الأصـدافُ. وجـاءت محارةٌ. من باطن الألفـاظ. كلؤلـؤة الياقـوتِ. لونُـها لا يـوصَفُ. ألماسةٌ في الماء. كخـاتَمِ الشّمسِ. من سـالف الأعماقِ. يَــبْـزُغُ. نـورُهـا. كـالكـوكب السّيّار. يعرفها الغوّاصُ. فينسَى ألَــمّـا. وتنطلق الأنفاسُ. وهو بمائه. وفاز بـالسّبق. فاز الذي قـد طوى عُمُـراً. كاليائسِ. صـامتا لا يكشف. وقال. هذا هو الوجد. هذا هو اللفظُ. فلن أنساك يا قلمي. وخَطَّ لفظا. وصـاغ حرفـا. وراح يَـنْظم المنثـورَ. ومن أعماق بحرٍ خـالدٍ. يَستخـرج الأوزانَ. وأصبحَ صـائغـا. يسـوّي القلائدَ. ليَـزينَ بها. جيـداً بحسنــه ظالـمّـا. مَفـاتنُهُ الوَجَـنَاتُ. إذا رَمَتْ باللّحظ. أصـابت قيْـصَـراً. ولمّا

استوَى الماءُ. وجاء مَحَارُهُ. قال قائلهم. درسُ السِّباحة. أبدا لا ينتهي.
عليكَ بالغوصِ. ألْفًا وألفًا. فلستَ بماهرٍ. ولستَ بصائغٍ. لا يَهْزِمُ
المرءَ إلاّ لسانُهُ. ونادى المنادي. أيا أيّها الطفل. في الدهر. وفي النهر.
ومن جديد. إنك راسبُ.

رحماك يا أبتي. أوصيْتَني. وأُنْسيتُ وصيّتَكْ. فقد قلتَ يوما.
الحبُّ كالشعرِ. و الشعر من فتنة الألفاظ. و الكلمات. إذا تعرَّى سرُّها.
زجاجةٌ تنكسرُ. فالآنَ عرفتُها. والآنَ فاتَ أوانُها. فَسَأُفْشِي سِرَّهَا.
وأقولُها. لكلّ طفلٍ باسمٍ. لكلّ فتًى ناظمٍ. لكلّ كهلٍ ناثرٍ.
سأقولُها. وأقولُ بعدَها. رحماك يا أبتي. إنَّ ابنك راسبٌ.

وفي ليلة. من ليالي القَدَرِ. قد دعا لي ملَكٌ بدعوة الخيرِ. أنَّى
جِئْتَهَا. فاستجابَ الْقَدَرُ. فألفَ حمدٍ يومها. بَلَغْتُ ذُرَى المجد قولاً
وفتنةً. وأقسمتُ للشعرِ. لن أنساك يا قَسَمِي. وجئتُ القصيدةَ. ساعيا
ومدبِّرًا. وكان لي في الإيقاعِ مَوجدةٌ. واجتَزتُ في ليل. وبي أملٌ.
اختبارَ الوزن. وتلافيفَ المُنَى. وأذَاعَ الشعرُ عنّي سِرَّهُ. قد خيَّبَ
الظَّنَّ. فليس بناجحٍ. فيا أيها الشعر الرحيمُ. مغفرةً. وسماحةً. فاقبَلْ من
فَتًى تَائه. بَوْحًا جديدًا. يقول. ويَهمسُ. سامحوني. فلستُ بشاعر.
ثم هَاكُمْ قولَةً. سرًّا دفينًا. طالما يتكرّر. سأظلُّ ما حييتُ على الوفاءْ.
للصّورة المثلى. لألف ذكر. سأظلُّ بعد اليومِ. كَعَبْدٍ. عاشقٍ للضّادِ.

معشوقُـهُ الحرفُ. وهو طائـعُـهُ.

وأقبلتُ على الـدرس منتبهًـا. طـالبـا حـذقَ السّبـاحـة. مجتهـدًا. ومعاوِدًا. وبي في الفَــلاَحِ أُمْـنـيَّةٌ. أنْ أبْعَثَ. إلى عـالم الأرواحِ. برقيَّـةً. أقول فيهـا. رحماكَ يا أبتي. فطفلكَ ناجحٌ. ونـزلتُ قاعَ النهرِ مجــدِّدًا. أفتِّـشُ في المحارِ. كـاشفًا سرَّ اللآلِــي. فإذا أنـا. كَسَعيد الحظ أُمسكها. جـوهرةً. ألْـماسَةً. نُـوريَّةً. أداعبُ الأصـدافَ من حـولها. وأومىءُ لها باللّحظ. كفارسٍ في الغوصِ ليس يهابُه. إذا بزلزالٍ. يَـهُـدُّ الكونَ. كونَ لآلِـئي. فَـقُــنْـبُلَـةٌ قد انفجرتْ. من بقايـا الحرب. مزَّقَتْ أوصالَ طفلٍ حالِــمٍ. بَـدَّدَتْ أشـلاءَهُ. وفـرقَعَتْ في الشعرِ شَظيَّــةٌ. فَـتـاهَ الـوزنُ. وضاع القلمُ.

هل تُبعَثُ الأرواح بعدَ ضيَاَعهَـا. هل تُولَدُ الألفاظُ بعـد مَـمَـاتِها. هل تَـحْملُ الأرحامُ بعد سُبـاتِها. كيف السّبيل إلى عَصًا سحريَّــة. تحوّلُ الألفـاظَ زَهْرًا. تغيــّرُ الألحانَ منْ شُؤْمٍ ومن نَحَسٍ. فيأتي طـالعُ اليُمْنِ. وتأتي البركـاتُ. والعَـرّافُ. والتّـلاواتُ. وعطـرُ المكـرُمـات. وتهاليلُ الليلِ. وتسـابيـحُ الضُّحَى. وآيَـةُ الكُـرسيِّ. وسـدرةُ المنتهى. و الحزبُ اللّطيفُ. والأختامُ أدعيَةٌ. والنَّـفَّاثاتُ في العُـقَد. راحَتْ تَـضيعُ. وزال الإفكُ. وانبلجَتْ. أشعّةُ النّور. وعندصياحِ الديك. عند السَّحَرْ. صاح مؤذِّنِـي. هذا هو الفجرُ. وبعدَ الفجرِ. صبحٌ جديدْ.



نَسْخٌ

قلتُ مُفَاتِحًا. هل تأذنينَ لي. أيا لغتي. أن آخُذَ منك إجازةً. وأن أبْحِرَ في محيط الوراثة. حيث الهندسةُ الجديدَهْ. حتى أتقنَ حديثَ الاستنساخِ. أنتقي منك الحَيَامِلَ. والجنَات. وأتَبّتُ الخلايا في أنابيبِ المَخَابِرِ فسيأتي عنيكِ رحمِ النّسيانْ. يومُ افْتقادِ الذاكرهْ. وعندها سأبعثُ المَلاَقِحَ. من سُباتها. وسَأنْفُخُ فيها حرارةً. بعدَ الجماد. وسأستنسخُ من كلماتك الكلماتْ. وسأوَلّدُ من صُورَكِ الصُّورَ. فاني أخافُ عليكِ. بتَ أنا أخافُ عليكِ. من نفسكِ. أنا أخاف عليكِ. على نفسك أنَا وأنتِ نخاف عليك.

قالت.

هناكَ من بعيدْ. على فراش الذّكرياتْ. بين فُحوصٍ وكُشوفْ. واستوى البقاءْ. ومقاديرُ الرحيلْ. مسكتُ بنفسي. فوجدتُّ العزمَ حَديدًا. فتحتُ نواظري. وحَدّقتَ في الوجود فرأيتُ مسافات تقاربَتْ. فاختَزَلْتُهَا. واعتَصرتُ رحيقَهَا. جمرةٌ بين نارين. يومًا نطقتُ. يوم أحببتُ لغتي. يوم خِلْتُ أن الحبَّ قد وئِدَ. ليلةً. بُعثَ

الوليدُ جـديـدا .

أجَبْتُ . ثم طَلبتُ قلما . وصحيفةً . ولم يمنعوني . فانثال لفظٌ . دَمًّـا قَرَاحًا . كأنه الأسى . تتقاطر مقلتِي . بدأتُ . وماكنت أعلمُ أين سأنتهي .

طلبتُ الرحيلَ .

فحضرتِــنِـي .

طلبتُ الشهادةَ .

فحضرتِـنِي .

سألتُ نفسي . اليومَ أحببتُ الحياةَ . أحببتُ سوالفَ الأزمان .

همستُ بَاسِـمًا .

يَا لُغَـتِي . يا آسِـرَهْ . مُستبـدّ طيفُكِ . في الرّكنِ . في البيتِ . طيفُكِ . على الورق وبين السطورِ وفي المحافظ . طيفُكِ . في السوقِ . وعلى المَآذن . في الرُّبَـى . وعلى الشوطىء . يلاحقني . طيفُكِ . أمْسكيه وروّضي عنادَهُ . فـالطّيفُ طيفُكِ . إذا غضبتُ . فهـو يبتسـمُ . طيفُكِ . وإذا انشرحتُ . تقطّبَتْ أهـدابُـهُ . طيفُكِ . أمسكيـه سـاعـةً . أو بعضَ وقتٍ . إني أسـوّي أغـنِـيَّـةً . وأهديكِ لحنًا . شاديًا . كلماتُـهُ . الطّيفُ طيفُكِ .

قالت .

هل جلستَ يومـا على الضّفافِ بعدَ الغُـروبِ و الأضواءُ تتسلّلُ بين حُجُبِ الظـلامِ تخترقِ الضَّــبَابَ لتستقرَّعلى صفـائح الماء وهي هـادئةٌ لا

يـداعبُهـــا إلا هفيفُ النسيمِ تـرتعش لـــه ارتعـاشـةَ قلـبِ الحبيب ينـادي
بِخَـفَــقَانـِه أناملَ الطّيف القَصِـيِّ أنْ ارْسُــمْ بريشة الفنّ لوحـةَ الغَزَل على
صدري فيهـا الـمَراكبُ تختـالُ على الماء راقصـةً بِشِـــرَاعِهَا الأبيضِ الفتّان
كـأنـه ينادي شاهقات الـمَبَانِـي :

بوركتِ يا لُـغَـتِي .



هَاءُ السَّكْتِ

هَـلْ أتَـاكَ حديثُ الـمَـرْأة
تُـقَـدّمُ الجَسَدَ قُرباناً إلى الحبِّ
يَـصطَـلِـي بِـنَـارِ النَّـدَمِ .

أيتها اللّغةُ . تَـمَنَّعِي . أهلاً بكِ . تمرَّدي . اغرِفِـي من بحور الزَّهْوِ . أهلاً بك . امْكُرِي . أمْعِنِـي كَيْدًا . غيظِيني وراوغي . اطْعَنِي الظهرَ بِـنبَالِ الشّعْـرِ . فسهامُ اللفظ حميمَـةٌ . وتفنَّـنِـي . اعزِفِي على نبض القلـوب . ثم كُوني . فـاتنةً . خـائنةً . فأهـلاً بكِ . شيئًا واحـداً . لا تفعليه . فَلِلـدَّلاَلَةِ حُـرمـةٌ . وللمـدارك سلطـةٌ . للعقلِ كما للحبِّ . جـلالٌ وَمَهـابـةٌ . لا تتناقضي . لا تتردّدي . لا تجَامِلي من صانعوك . قد شَوَّهُوكِ . حينَ صرْتِ كَدُمْيَـةٍ . تُسَوَّى بك الصَّفَقَاتُ . كإحـدَى اللَّهَجَاتِ . تَدحرجْتِ من سَماءِ النُّبْلِ . حيثُ وَضعتُكِ . تَـمَرَّغْتِ في الأوحـــــال في الطّينِ المُبَلَّلِ . فَتَـدَنَّسَتْ . أزهارُ تَاجِـكِ . لاَ تَـتَـنَاقَضِي . قَسَماً بكِ . يومَ كنت فَصيحَةً . ناصِعةَ ابيِاضٍ . محجوبَـةً . قَسَمًـا بِـالشّعْرِ . بآياتِ النُّهَى . بالكلماتِ . لو

جئت القَطيعَـةَ مَـا نَقمْتُ عليك. خيـانـةُ المعنَى كَهجْـرَانِ حُبّ. قـدرةٌ وشجاعةٌ. وتَنـاقُضُ الأهواء مَذَلّةٌ ومَهانَـةٌ. لا تتنـاقضي. برَبّ الشّعر. لا تتملّقي. أسماءُ الأضــداد لَعينَـةٌ. و السُّهَى. حَقْلٌ مِـنَ الألْغــامِ. لا تتفككي. لا تتمزَّقي. فلا أهْلاً قَـدمْت. لا تتناقضي. ولا سهلا حَلَلْت. لا تَـتَورَّطي. جَسَدُك المسكينُ. بينَ يـومٍ و ليلــة. وهبتـةفي الدُّجَــى. هديَّــةٌ مفضوحــةٌ. للَّيْــلِ السّعيــد. وعنــدَ الضُّحَى. وَهَبْت الخليلَ فُتَاتَـهُ. منهوكَ القُوَى. فَاترَ الأشلاء. قد خَبَتْ أوْهَاجُهُ. قَدَّمْـتـه. كَبْشَ الْـفدَاء. لـوَجْــد واهـمٍ. كَـقصيدة الزَّيف. في بَــدْء اللّقَاءْ. كَمَــادحِ السّلطان. يُمَجّـدُ الفُصْحَــى. عَـلَـى مـنْبَــرِ الأشعار. وهو مُـرَاوِغٌ. دَيْدَنُــهُ التَّـلْهِيجُ. بـلا خَجَــلٍ. يُسكّــنُ الحَـركاتِ. صَفيـقَ الحَيَــاءْ. كَـغَضْبَـة الأقدار. على فَـلْـذَة الأكباد.

أيتها اللّغـةُ.

أيتها الفُصْـحَـى.

لا تَـنْسَـيْ وَصيَّـتـي.

تَـجُوعُ الحُـرَّةُ ولا تأكُـلُ بثَـدْيَـيْهَـا.

تَـفْنَى الأبـيَّـةُ وَلا تُضَحّـي بـحُـبّـهَا.

قَافِيَــةٌ

هَـا أنّــي
وفي البَـدء ما رُمْـتُ إلا ترويضَ لسانــي
قد رَوَّضتُ قلبـي وجنـانــي
ها أنـا محـبّ عـاشـقٌ
ها أنا مفتـونٌ بضَـادي ولسـاني
إنيّ أشهـد أنّى الأسيـرُ
وآسـري كلماتـي
بحبّ
قـد دخلتُ إليـكِ
وبشـرف
أُوَدّعُـكَ
فلَـن أعُـودَ
أيتها القـافيـةُ، أيتها القصيدةُ، قَـسَمًـا بالشّـعـرِ :
لأنْت
طَـالَـقٌ
طَـالَـقٌ
طَـالِـقٌ.

للمــؤلف

الأسلوبية و الأسلوب :

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ط 1 : 1977، ط 2 : 1982 ، ط 3 : 1988

ـ دار الصباح ، القاهرة ـ الكويت ، ط 4 : 1993

التفكير اللساني في الحضارة العربية :

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط 1 . 1981 ، ط 2 : 1986

قراءات مع الشابي و المتنبي والجاحظ وابن خلدون

ـ الشركة التونسية للتوزيع ، ط 1 : 1981، ط 2 : 1984 ، ط 3 : 1989

ـ دار الصباح ، القاهرة ـ الكويت ، ط 4 : 1993 .

النقـــد و الحـــداثـــة :

ـ دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 : 1983

ـ دار أميـــة ، تـــونس ، ط 2 : 1989

قاموس اللسانيات (عربي فرنسي ـ فرنسي عربي) مع مقدمة في علم المصطلح

ـ الـدار العربيـة للكتـــاب ، تـــونس ، 1984

اللســانيــات من خـــلال النصـــوص

ـ الدار التونسية للنشر ، ط 1 : 1984 ، ط 2 : 1986

الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1985

(بمعية د . محمد الهادي الطرابلسي)

اللسانيات وأسسها المعرفية

ـ الدار التونسية للنشر ، 1986

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص

ـ الدار التونسية للنشر ، 1988

(بمعية د. عبد القادر المهيري ود. حمادي صمود)

مراجع اللسانيات

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1989

مراجع النقد الحديث

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1989

قضية البنيوية : دراسة ونماذج

ـ ط 1 : دار أمية ، تونس ، 1991

ـ ط 2 : دار الجنوب ، تونس ، 1995

قضايا في العلم اللغوي

ـ الدار التونسية للنشر ، 1994

مساءلات في الأدب واللغة

ـ مؤسسة اليمامة ، الرياض ، 1994

المصطلح النقدي

ـ مؤسسات بنعبد الله ، توىس ، 1994

في آليات النقد الأدبي

ـ دار الجنوب ، تونس ، 1994

أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث

ـ مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1996

مباحث تاسيسية في اللسانيات

ـ مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1997

تمّ طبع هذا الكتاب

بمطبعة كوتيب تونس الشرقية

مارس ١٩٩٨

أيتها اللغة هل تأذنين بإفشاء سرّ من أسرارك :

يومًا ركّبتُ بك قولا فانساق بي الطّيشُ بالألفاظ فلم أدرِ ما كنتُ أعنيه، وأمعنتُ . فتزيّنتْ صورةٌ ولم أفهم لها معنًى . ردّدتُ القول فاستطبْتُه . وعاودتُ فانثال لِيَ فيض من الدلالات. وأشعْتُ. فَقبلُوا واستراحوا. ثم سلكوا في النّشوة كلَّ مسلك . فأغراني عَبَثُ الوليد. فظلّتْ معي زمنا . وأردتُ توبةً واستغفرتُ لديك وهممتُ أن أعلن الذّنبَ وأن أصعَّدَ على منبر الاعترافِ أُطهّرُ النفس من أعلاقها وأغسل بالبوح إثما ظلمتُك به . وأنا بين عزم وانثناءٍ سمعتُك وسمعتُ مَنْ حولَك تُهاتِفينَ ويُهاتفون :

ليس من عبث ما صنعتَ ، إنما العبث ما ستصنع ، فلا تكابرْ. فلقد نطقَتْ على لسانكَ اللغةُ أرسلتْ إليكَ واحدا من جنودها وهم نَفرٌ من الجنّ قالوا آمنّا فما هم بملحدين ، فلا تستعذْ بالله من طيفٍ ألمَّ بكَ .

ومن يومها تزيّنتْ لِي فتنةُ الكلِماتِ .



ر د م ك 9973707543

السعر : 3.900 د .